دكتاتورية المالكي
أم دكتاتورية حزب الدعوة؟

عراقة الإجرام الأسدي!!

مؤتمر الصحوة
الإسلامية في طهران



www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد – العدد ١٠١ - ذو القعدة ١٤٣٢هـ

إيران:
هل هي بداية الأفول؟





رسالة دورية

تصدر بداية

كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط

قيمة الاشتراك لسنة

(٣٠) دولار أمريكي

العدد

(١٠١)

ذو القعدة - ١٤٣٢ هـ

www.alrased.net

info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة

إيران: هل هي بداية الأفول

تمر إيران حالياً بمرحلة بالغة الحساسية داخلياً وخارجياً، وهي تراكمات لمسيرة دولة الملالي بعد الثورة الخمينية ولا يتوقع أن تعبر إيران هذه المرحلة بسهولة ويسر.

فعلى الصعيد الداخلي:

هناك توترات كبيرة تكاد تذهب بشرعية النظام السياسي، بسبب الانقسامات الكبيرة ومتعددة المستويات، فأعداد الرافضين للثورة الإيرانية وجمهوريتها في تزايد وهم قطاعات واسعة من الشباب والعلمانيين والأقليات غير الفارسية. أما المؤيدون لبقاء الجمهورية الخمينية فمنقسمون بين الإصلاحيين الذين هم مقموعون بشدة منذ الانتخابات الرئاسية في عام ٢٠٠٩ حيث لا يزال المرشحون الإصلاحيون الذين نافسوا نجاد في الانتخابات كمهدي كروبي ومير موسوي قيد الإقامة الجبرية، وبين المحافظين الذين وقفوا بقيادة المرشد خامنئي خلف نجاد. ولكن اليوم يشهد معسكر المحافظين صراعاً شديداً بين المرشد خامنئي والرئيس نجاد!!

ومن ناحية ثانية فإن مستقبل القيادة السياسية لإيران بعد خامنئي مستقبل غامض ومثير للريبة، فلا توجد شخصية يمكن أن تملأ الفراغ وتكون محل إجماع، والطامعون بخلافة المرشد كُثر ولا يبدو أنهم مستعدون للتنازل عن مطامعهم بسهولة.

كما أن هذا الصراع زاد من وتيرة المطالبات بإلغاء مبدأ ولاية الفقيه كلياً أو المطالبة بتعديله لتصبح ولاية جماعية لعدد من الفقهاء وليس منصباً فردياً.

أما على صعيد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فهي أوضاع صعبة حيث تعاني إيران من مشاكل متفاقمة كالفقر والبطالة والإدمان والطلاق، مما ساعد على انتشار الفساد الأخلاقي حتى تصاعدت نسبة انتشار الإيدز بنسبة مرتفعة وبالطبع يساهم زواج المتعة في نشر التحلل الأخلاقي والإيدز.

كما أن الدخل العام للمواطنين يعتبر منخفضاً، وجزء كبير من دخل إيران العالي يذهب للتسليح ودعم وكلاء إيران في العالم بدلاً من رفع مستوى دخل المواطنين، ولقد ذهبت وعود نجاد بوضع عائدات البترول على مائدة كل أسرة أدراج الرياح.

وبسبب السياسات الإيرانية العدائية فإن الشعب الإيراني يعاني من المشقة الشيء الكثير، فغالب البنزين لا يتوفر إلا عبر الاستيراد، والطائرات والمركبات تعاني من قلة الصيانة والأمان، أما حالة الخدمات العامة فهي بائسة ويكفي أن طهران تعتبر من المدن الملوثة بشكل رهيب جداً.

أما على الصعيد الخارجي:

فإن أزمات إيران الخارجية جعلتها تخسر كثيراً من

سـمعتها وشـعبيتها في الـشارع العـربي والإسـلامي خاصـة بـسبب مواقفهـا الانتهازيـة في الوقـوف مـع النظـام الـسوري المجرم، فبحسب استطلاع لمعهـد «زغبي الدولي» في شـهر ٦/ ٢٠١١ في المغـرب ومـصر ولبنـان والأردن والـسعودية والإمارات العربية المتحدة، فإن معدل الرضى عن إيران كان في العالم العربي مرتفعاً في عام ٢٠٠٦، إذ كانت في ٥ دول تـصل لـنسبة ٨٠ ٪، ولكـن منـذ ذلـك بـدأت تـنخفض حتـى وصلت إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق بنسبة لا تتجاوز ٦ ٪ بالسعودية و١٤ ٪ داخل المغرب و٣٧٪ في مصر و ٢٣٪ بالأردن و ٢٢٪ في الإمارات.

كـما أن إيـران أصـبحت مهـددة بـشكل كبـير بـأن تفقـد حليفتها سورية والتي كانـت تتيح لهـا الإطلالـة عـلى البحـر الأبيض والرئة التي يتنفس من خلالها وكيلها حزب الله، كما أن إيـران تـضررت كثـيراً مـن نجـاح الثـورات العربيـة بإزالـة الأنظمـة الفاسـدة دون الحاجـة للفكـر الثـوري الإيـراني أو الدعم الإيراني، بل شكلت المزاعم الإيرانية بأبوّتها للثورات العربيـة ردة فعـل معاكسة لـدى الجماهـير في تـونس ومـصر وليبيـا، فقـد صرح زعـيم حركـة النهـضة التونـسية، راشـد الغنوشي، قائلاً: «لستُ الخميني وتونس ليستْ إيران»،

واستنكر العديد من القيادات الشعبية المصرية تصريحات خامنئي بخصوص الثورة المصرية، ولا تزال تأكيدات الثوار الليبيين تتواصل بـأن ليبيا بلد متجانس سني عـلى المـذهب المـالكي، وفي سـوريا تتجـدد المظـاهرات المعاديـة لطهـران وهي تردد شعارات: «لا إيران ولا حزب الله، بدنا دولة تعبد الله».

كـما أن الـدعم الإيـراني المتواصـل للطائفيـة في البحـرين استفزت دول الخليج مما دعاها لإرسال قوات درع الجزيرة مـا أفسد عـلى إيـران مخططاتهـا وجعـل المواجهـة مـع دول الخليج مواجهة مكشوفة خسرت فيها إيران كثيراً.

ومن أزمات إيران الخارجية: تفوّق النموذج التركي على النموذج الإيراني لدى الشارع العربي والإسلامي، فلا وجه للمقارنة بين ما حققته القيادة التركية لشعبها وبين ما جلبته القيادة الإيرانية لشعبها من المصائب، كما أن النفوذ التركي المتعاظم لا يشكل تهديداً ومنافسة مؤذية لدول الجوار، بل تقـوم الـسياسة التركيـة عـلى التعـاون والتكامـل مـع الجـيران بخـلاف الـسياسة الإيرانيـة القائمـة عـلى الاحتـواء والتبعيـة، ورغم أن تركيا لها علاقات وثيقة بإسرائيل إلا أنها استطاعت تسخير هذه العلاقات لِلَجم إسرائيل بما فاق تهديدات إيران ومحور الممانعة، ومن جهة أخرى قامت تركيا بدعم فلسطين بطريقة صحيحة لم تُثر انقسامات داخلية أو حساسيات مع دول جوار فلسطين، هـذا كله أفـرغ زخـم المـشروع الإيـراني الثـوري وسـحب البـساط مـن تحـت قدميـه لـصالح النمـوذج التركـي القـائم عـلى الـسلمية والحـوار والتخطـيط الـدقيق ومراعاة التدرج.

مستقبل إيران:

رغم هذه الأزمات التي تعاني منها إيران والتي قد تصور للـبعض قـرب نهايـة هـذا النظـام الـشاذ إلا أن مـستقبل إيـران مرهون بعدد من المتغيرات منها:

١ - **الحراك الداخلي الإيراني**: حيث من الصعب التكهّن بمسار الأحداث في إيران، حيث يمكن للانتخابات القادمة في إيران أن تفجر الأوضاع فيها سواء في صراع بين أنصار خامنئي وأنصار نجاد، أو في صراع بين الحانقين على النظام

مـن الإصـلاحيين والأقليـات والعلمانيـين، أو بـسبب وفـاة مفاجئة لخامنئي قبل ترتيب انتقال السلطة.

٢- التحركات الوقائية للنظام الإيراني: حيث يقوم النظام بالعديد من الخطوات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وذلك عبر عدة خطوات، منها:

* فتح باب الحوار مع المعارضة السورية، وهذا من دهاء هذا النظام الذي يضع قدماً له في كل مركب.

* محاولة استمالة بعض القوى القادمة في مصر وتونس، ففـي رمـضان المـاضي حـضر ثلاثـة مـن مرشـحي الرئاسـة المصرية إفطارا أقامه القنصل الإيراني بالقاهرة، وفي تونس عرضت السفارة الإيرانية الدعم المادي على بعض الأحزاب الجديدة مقابل ضم بعض المتشيعين في صفوفها وقيادتها.

* أقامـت إيـران «مـؤتمر الـصحوة الإسـلامية الأول»، لتلميع صورتها وترميم نفوذها.

* هنـاك أنبـاء عـن قيـام عنـاصر عـسكرية إيرانيـة بـسرقة صـواريخ روسـية متطـورة مـن مـستودعات ليبيـا وحفظهـا في مستودعات إيرانية في السودان.

* فتح معارك جانبية لتشتيت الضغط العربي عليها، مثل استمرار التحريض في البحرين، ودعـم الحوثيين في اليمن، وافتعال قصة الاعتداء على مقابر آل البيت بالبقيع.

* اسـتمرار الغـزو النـاعم في العواصـم العربيـة، فمـؤخراً شـهدت العاصـمة الأردنيـة محـاضرة بعنـوان: «الخلفيـة الحـضارية والمقومـات الفكريـة للنجـف الأشرف» لمحمـد سعيد الطريحي، رئيس البرلمان الشيعي الهولندي.

* قيام إيران بتهيئة العراق كحليف لها، ليحل محل سوريا بعد سقوط نظام بشار.

٣- الموقف العربي: الحكومي والشعبي الإيجابي الذي يستغل فرصة الضعف الإيراني للتخلص بشكل حقيقي من الخطـر الإيـراني عـبر خطـوات إيجابيـة، بتحـسين الأوضـاع الداخلية وفـتح الحـوار الـداخلي بطريقـة بنـاءة وجـادة تعـزل إيـران عـن اللعـب بالأقليـات الـشيعية المعارضـة والوطنيـة، وتحـصين الجبهـة الداخلية عبر تبني حملات إعلامية ذكية وصادقة تفضح انتهازية إيران وخداعها.

٤- الموقـف الغـربي وخـصوصاً أمريكـا: واحتماليـة أن يكون لصالح المشروع الإيراني وبقائه كما حدث مؤخراً في موضوع البحرين، ففي أول تصريح للسفير الأمريكي الجديد في البحـرين أكـد عـلى ضرورة تفهـم الحكومـة البحرينيـة لمطالـب الـشيعة، وهـو نفـس الموقـف الـذي كـرره الـرئيس الأمريكـي أوباما في كلمته بالجمعية العامة للأمم المتحدة بالتحاور مع جمعية الوفاق الشيعية!!

ومعلـوم أنـه رغـم العقوبـات الأمريكيـة عـلى إيـران فـإن العديد من الشركات الأمريكية والإسرائيلية تخرق المقاطعة وبعلـم السلطات، بسبب وجـود لـوبي نفطي أمريكي يسعى لاحتكـار الاسـتثمارات النفطيـة الإيرانيـة ويدعمـه لـوبي أمريكي من أصل إيراني يحرص على قوة إيران ولو مع بقاء الملالي لكن مع بعض التنازلات.

الخلاصـة: مـع مـا تعانيـه إيـران مـن مـأزق كبـير إلا أن مستقبلها معلق بين سلبية أو إيجابية الموقف العربي واتجاه الموقـف الغـربي ونتـائج حـراك إيـران الـداخلي ومحـاولات النظام للخروج من المأزق، فهل نقوم بما علينا حتى يسخّر الله لنا ما نريد؟

١٧- أدونيس

أسامة الهتيمي(*) – خاص بـ «الراصد»

من المحاولات الماكرة التي تستهدف تنفير أبناء الأجناس والأعراق غير العربية من الإسلام هو القول بأن الإسلام لم يأتِ إلا لرفع شأن القومية العربية فوق كل القوميات، فالقرآن لم ينزل إلا بلسان عربي مبين، ونبي الإسلام عربي، وبيت الله الحرام الذي وجبت زيارته على كل مسلم ومسلمة يقع في أرض عربية ومن ثم فإن غير العرب من بقية أجناس الأرض وأعراقهم يأتون في درجة ثانية بعد العرب فهو في البداية والنهاية دين العرب لا غيرهم.

ونفث هؤلاء سمومهم في كل مكان يستهدفون إثارة الناس من أجل التمحور حول أصولهم العرقية بما صاحب ذلك من تقليل بل وتحقير لأهمية الرابطة الدينية والعقدية التي تتجاوز حدود العرقيات والأجناس وبما ينتهي بهم إلى تهميش الدين كلية وحصره فيما يخص علاقة العبد بربه وبما يعني بوضوح أن هذه الدعوة ما هي إلا أداة من أدوات العلمانية المقيتة التي ترى في الدين عدوها الأوحد.

ويعد المتشاعر السوري علي أحمد سعيد إسبر المتسمى بـ «أدونيس» واحداً من هؤلاء الذين لعبوا على وتر إحياء هذه العرقيات في مواجهة القومية العربية التي تصور ظلما وبهتانا أنها تدثرت بالإسلام من أجل القضاء على الانتماءات القومية الأخرى على الرغم من إدراكه هو نفسه قبل غيره أن الإسلام جاء ليقضي على كل انحياز لقومية مهما كانت وأنه اعتبر أن التطرف في هذا الانحياز عنصرية وجاهلية مرفوضة بل وضد الإسلام، فالانتماء للإسلام ليس لاعتبارات بقومية والأفضلية في الإسلام ليس لأبناء قومية دون أخرى: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» فمناط المفاضلة بين الناس ليس عرقهم ولا لونهم ولا لسانهم ولكن مناط المفاضلة هو طاعة الله وتقواه والقرب منه.

كما يدرك «أدونيس» وغيره أن الإسلام لم يأت ليحارب الثقافات أو الحضارات الأخرى بل إنه احترمها كما احترم ما كان عليه العرب قبل الإسلام شريطة

(*) كاتب مصري.

أن يكون ما عليه العرب وما عليه غيرهم ليس مما يتعارض ويتنافى مع ما جاء به الإسلام من توحيد وقيم سامية تسمو بالإنسان إلى درجة احترام إنسانيته التي خلقه الله عليها فلا تهبط به إلى حياة وسلوك الأنعام.

النشأة والبداية

ولد السوري **النصيري** (علي أحمد سعيد إسبر) المسمى بأدونيس في الأول من يناير عام ١٩٣٠م بقرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا، وقد تسمى بـ«أدونيس» احتجاجا على اسمه العربي ومحاولة للانتساب العرقي فأدونيس هو أحد الآلهة الفينيقية وهو الاحتجاج الذي أكده أدونيس بتسمية أبنائه بأسماء غير عربية أيضا فقد أسمى ابنتيه أرواد ونينار.

وبحسب المصادر التاريخية فإن أدونيس لم يلتحق بمدرسة نظامية حتى سن الثالثة عشرة من عمره غير أن والده تكفل بتحفيظه القرآن الكريم فضلا عن عدد كبير من القصائد العربية القديمة وهو ما كان سببا لالتفاته للبحث في الشعر العربي.

وجاء استكمال أدونيس لدراسته محض مصادفة إذ اختير عام ١٩٤٤م، وكان صغير السن حينئذ، لإلقاء قصيدة وطنية من شعره أمام شكري القوتلي، رئيس الجمهورية السورية، فنالت قصيدته الإعجاب فأرسلته الدولة إلى المدرسة العلمانية الفرنسية في طرطوس فقطع مراحل الدراسة قفزاً وتخرج من جامعة دمشق متخصصاً في الفلسفة سنة ١٩٥٤م.

التحق أدونيس بالخدمة العسكرية بعد التخرج مباشرة غير أنه قضى عاما واحدا في السجن بلا محاكمة بسبب انتمائه السياسي للحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أسسه ورأسه أنطوان سعادة.

وما أن تم الإفراج عن أدونيس في بداية عام ١٩٥٦م حتى غادر سوريا متجها إلى لبنان حيث التقى بالشاعر يوسف الخال وأصدرا معاً مجلة «شعر» في مطلع عام ١٩٥٧ ثم أصدر أدونيس مجلة «مواقف» عام ١٩٦٩ والتي استمر صدورها حتى عام ١٩٩٤م.

وقد تمكن أدونيس خلال إقامته في لبنان من استكمال دراسته الجامعية حتى حصل على درجة الدكتوراة في الأدب عام ١٩٧٣م من جامعة القديس يوسف.

لفتت أفكار أدونيس وآراؤه الغريبة نظر الجامعات الغربية إذ وجدت فيه كعادتها، مع نظرائه، ضالتها حيث السعي وراء تأصيل مفاهيم وقيم العلمانية والحداثة المزعومة فتكررت منذ فترة مبكرة دعوة أدونيس كأستاذ زائر إلى العديد من هذه الجامعات والمراكز البحثية في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وغيرها فضلا عن اختياره لمنحه العديد من الجوائز الدولية التي بات معلوما أنها لا تمنح إلا لمتبني أفكار بعينها.

جوائز منحت له:

الجائزة الكبرى ببروكسل عام ١٩٨٦م، جائزة الشعر السوري اللبناني، جائزة منتدى الشعر الدولي في بيتسبورغ ١٩٧١، جائزة جان مارليو للآداب الأجنبية ١٩٩٣، جائزة فيرونيا سيتا دي فيامو ١٩٩٤، جائزة ناظم حكمت ١٩٩٥، جائزة البحر المتوسط للأدب الأجنبي، جائزة المنتدى الثقافي اللبناني ١٩٩٧، جائزة الإكليل الذهبي للشعر ١٩٩٨، جائزة نونينو للشعر ١٩٩٨، جائزة ليريسي بيا ٢٠٠٠، جائزة غوته (٢٠١١). في حين تم ترشيحه العديد من المرات لنيل جائزة نوبل غير أنه لم يحصل عليها.

كتبه ومؤلفاته

لأدونيس العديد من الكتب والمؤلفات أهمها:

كتاب القصائد الخمس ١٩٧٩. أغاني مهيار الدمشقي ١٩٨٨. كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ١٩٨٨. المسرح والمرايا ١٩٨٨. أبجدية ثانية ١٩٩٤. الكتاب I١٩٩٥. الكتاب II١٩٩٨. الكتاب III٢٠٠٢. تنبّأ أيها الأعمى ٢٠٠٣. تاريخ يتمزّق في جسد امرأة ٢٠٠٧.

ومن دراساته:

مقدمة للشعر العربي ١٩٨٦. زمن الشعر ٢٠٠٥. الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب. تأصيل الأصول. صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني. صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري. الصوفية والسوريالية ١٩٩٢. النص القرآني وآفاق الكتابة ١٩٩٣. النظام والكلام ١٩٩٣.

أدونيس والدين

يحدد أدونيس وبوضوح شديد موقفه من الدين إذ يقول في كتابه الثابت والمتحول: «إن الخطوة الأولى في تحرير الإنسان هي في تحريره من الدين»، فالدين عند أدونيس ليس إلا قيودا تحد من حرية الإنسان ومن ثم فإن تحقيق حريته يستلزم بالضرورة التخلص من هذه القيود.

وهذا الموقف من الدين موقف ثابت لدى أدونيس تأكد كثيرا في كتبه ودراساته ومحاضراته فأدونيس امتداد للمنظومة الفلسفية الغربية التي تستمد معاييرها الفكرية من سلطة البشر واستقلالية الإنسان والتي ألغت الدين ورفضت معاييره وأن تكون له المرجعية في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية فهو لا يفتأ يردد أن الطريق الوحيد اليوم أمام العرب والمسلمين للإقلاع الحضارى هو تبني طريق العلمانية الغربية لأن العرب اليوم منقرضون حضاريًّا طالما أنهم يصرون على قراءة الحاضر بفتاوى الماضي لأن الفقيه. على رأى أدونيس. انتهى دوره.

وفي مقارنة له بين المجتمعات الغربية وبين المجتمعات العربية الإسلامية يرى أدونيس أن الأولى قد حققت الحداثة والديمقراطية بعد فصل الكنيسة عن الدولة، أما المجتمعات العربية الإسلامية فقد فشلت في تحقيق ما أنجزته الدول الغربية بسبب تحويل الوحي إلى مؤسسة سلطوية تخضع لثقافة الإلغاء والإخضاع للفرد وتهميش الرأى النقدي المخالف للسلطة أو معاقبة أصحابه.

وبناء على هذا الموقف فإن أدونيس لا يتردد مطلقا في أن يُخضع الوحي لعملية نقدية مساويا بينه وبين النصوص الأدبية البشرية، بل إنه يعتبر أن التراث، ويدخل فيه القرآن والسنة النبوية، نتاج تاريخي فرض نفسه على الأمة ويجب التخلص منه والثورة ضده، يقول: «فما قيل وعمل في الماضي في مجال الثقافة ليس شيئا مطلقا يجب تكراره والعلم به وإنما هو نتاج تاريخي أي نتاج يتجاوزه التاريخ من حيث أنه تعبير عن تجربة محددة لا تتكرر في مرحلة لا تتكرر هكذا يتضح أن طرح الارتباط بالتراث إنما تقوم به الفئات الوارثة المسيطرة».

وكان من بين مواقفه الغريبة أن أبدى أدونيس امتعاضه الشديد أن تخرج مظاهرات الشعب السوري ضد النظام السوري بزعامة بشار الأسد من المساجد في البلاد فأكد في زاويته الأسبوعية بصحيفة الحياة اللندنية أنه «ضد الثورة التي تخرج من عتبات الجوامع» وهو الموقف الذي اعتبره البعض موقفا متعاليا لأدونيس لا يخلو من التناقض والحسابات الإيديلوجية المتعالية التي كان يزعم أنه أول من حاربها.

وفي هذا الصدد أيضا فإن أدونيس كتب رسالة وجهها إلى الرئيس السوري تحت عنوان: «رسالة مفتوحة إلى

الـرئيس بـشار الأسـد» لم يكـن يـشغله فيهـا نـضال الـسوريين ومـا قـدموه مـن تـضحيات لأجـل تحقيـق الحريـة للـبلاد والـشعب الـسوري الـذي عـانى عـلى مـدار العقـود الماضيـة مـن الظلـم والانتهاكـات التـي مارسـتها الأجهـزة الأمنيـة الـسورية بقـدر مـا كـان ينـشغل أدونـيس بـدعوة النـاس إلى أهمية أن يتم الفصل بين هو ما هو ديني وبين ما هو سياسي بحـسب تعبـيره في رسـالته التـي نـشرتها صـحيفة الـسفير اللبنانية.

كـما يطـرح أدونـيس مقدمـة هامـة يخـرج منهـا بنتيجـة خطـيرة جدا إذ يـرى أن الـوحي صـار مـصدر المعرفـة والـتراث في الأخـذ منـه والاقتـداء بـه، يقـول: «صـار الـوحي الـديني مـصدر المعرفـة ومعيـار التعبـير وصـحة العبـارة صـار المرجعيـة في التطـور والفهـم والتقـويم في جميـع الميـادين». ومـن ثـم وبحـسب أدونـيس فـإن نقـد الـوحي وهـذه المرجعيـة يجـب في فلـسفة أدونـيس أن يبـدأ أولا قبـل نقـد أي شيء آخـر وإلا فـإن انطلاقـة في المـستقبل بـدون هـذا العمـل يـصبح عنـده عبثـا يقـول أدونـيس: «وعبثـا نحـاول أن ننقـد الكتابـة العربيـة بقـديمها وحـديثها وأن نفهمهـا إذ لم ننطلـق بـدئيا مـن الـنص الـديني الأول الـذي أسـسها وصـارت ذاكـرة لهـا ومـن القـيم والعلاقات التي أرساها هذا التأسيس».

وهنـا يعلـق أحـد البـاحثين الإسـلاميين، وهـو الأسـتاذ طـارق منينـه، عـلى كـلام أدونـيس فيقـول: «إن الكتابـة العربيـة الإسـلامية التـي انطلقـت مـن الإسـلام وخرجـت منـه القديمـة والحديثـة لـيس لنقـدها قيمـة إلا إذا أخـضع مؤسـسها ومقيمهـا ومحركهـا والـذي كـان الأصـل والأسـاس والمرجـع والعـماد لهـا للنقـد والهـدم! .. فهـذا هـو العـدو الأكـبر لكـل انطلاقـة علمانيـة لا تنظـر إلى الـدين عـلى أنـه شيء ولا إلى الأخـلاق عـلى أنهـا شيء ولا إلى العلاقـة بـين الجنـسين التـي أسـسها الـدين وحـافظ عليهـا الإسـلام عـلى أنهـا شيء يـذكر!.. إن أدونـيس يـدعو لفهـم القـرآن لا للانطـلاق منـه إلى عـالم أفـضل ولكـن للانطـلاق إلى عـالم بـلا «قـرآن» وبـلا «تـراث» يـدعو إلى هـذا «الـتراث» وبتعبـير الـدكتور نـصر أبوزيـد في دراسـته عن فكر أدونيس قال: **إنه يفهمه لكي يهدمه**».

ويـستتبع ذلـك الموقـف أن يـشحذ أدونـيس كـل قوتـه مـن أجـل تـشويه صـورة القـرآن الكـريم فهـو يـرى مثلا أنـه لا وجـود لـنص في القـرآن الكـريم يحقـق وجـود المـرأة كـذات مـستقلة عـن التوابـع فهـي في القـرآن ليـست حـرة أو سـيدة مـصيرها، وأن المـرأة يـوم القيامـة في الجنـة لا وجـود لهـا كـذات وإنـما هـي مجـرد حوريـة للاسـتمتاع، والقـرآن في زعـم أدونـيس لم يفـصل في هـذه القـضية ولم يعـط للمـرأة الحريـة والتقـدير كـما يدعي البعض.

أدونيس شاعرا

يتفـق الكثـير مـن النقـاد والأدبـاء – لـيس مـن الإسـلاميين فحـسب بـل ومـن غـيرهم أيـضا - عـلى أن أدونـيس امتـداد لـشعراء العـرب الإبـاحيين كعمـر بـن أبي ربيعـة وبـشار بـن بـرد وأمـرئ القـيس وأبي نـواس، فهـو يقـول عـن أبي نـواس إنـه «بُـودْلِيرُ» العـرب وهـو مـا دفـع الأديـب والناقـد الإسـلامي الـدكتور عـدنان النحـوي إلى أن يعلـق عـلى ذلـك بقولـه: «فَـمَا بَـالُ كَاتِبنـا مُغْـرَمٌ بِتَـشْبِيهِ شُـعَرَاءِنا بِالـسَّاقِطِينَ فِي دِيَـارِ الْغَـرْبِ.. وَلَـو بُعِـثَ أَبُـو نُـواس وَسَـمِعَ هَـذَا التّـشْبِيهَ وعَـرَفَ مَـنْ هُـوَ «بُـودْلِير» لَقَـذَفَ الْكَـلاَمَ فِي وَجْـهِ صَـاحِبِهِ ولَتَـابَ وَأَنَـابَ. اهـ [الحَدَاثَةُ فِي مَنظور إيماني ص ٢٧].

ويقـول أدونـيس أيـضا: «أبـو نـواس شـاعر الخطيئـة لأنـه شـاعر الحريـة». ويـستطرد: «هَكَـذَا أَبُـو نـواس فَـصَلَ الـشعر عـنِ الأخـلاق والـدين إنـه الإنـسان الـذي لا يواجـه الله بِـدين الجماعة وإنما يواجهه بدينه هو».

كـذلك يعـد أدونـيس واحـدا مـن رواد الحداثـة التـي تـسعى

إلى الـتخلص مـن كـل القـيم والمبـادئ الدينيـة وتـدعو إلى الانحـلال والعبثيـة فقـد كـان أدونـيس بكتاباتـه العـراب الأول لهذه الحداثة.

يقـول ربيـع بـن المـدني الأديـب، أحـد البـاحثين الإسـلاميين: «إِلَى هَـذَا الحَـدِّ وَصَـلَتْ أَفْكَـارُ الحَدَاثَـةِ عِنْـدَ (أَدُونِـيس) بِحَيْـثُ صَـارَ إِلْغَـاءُ المَـاضِي وَإِلْقَـاءُ تَبِعَـة الحَـاضِر عَلَيْـهِ مَـدْخَلاً ضَرُورِيّـاً لِتَأْسِيسِ الْعَـصْرِ الجَدِيـدِ الّـذِي يُرِيـدُهُ. إِنَّـهُ عَـصْرٌ بِـلاَ إِسْلام وَلمْ يَقُـلْ لَنَا لِمَاذَا يَـرْفُضُ المَـاضِي وَلِمَاذَا عَدَّهُ (مَمْلَكَة الْوَهْمِ وَالْغَيْبِ الّتِي تَتَطَاوَلُ وَتَسْتَمِرُّ)».

ويـضيف :«إِنَّـهُ مُقْتَنِـعٌ تمَامـاً أَنَّ (الحَدَاثَـةَ) لاَبُـدَّ أنْ تُزِيـلَ الإِسْـلاَمَ دُونَ تَقْـدِيم أَسْـبَابٍ مَنْطِقِيـةٍ أوْ جَوْهَرِيَّـةٍ وَمَرْجِعُـهُ فِي ذَلِـكَ مـاَ يَقُولُـهُ (لِينِـين) وَ(هِيغِـل) ..أيْ إِنَّ مَرْجِعِيتَـهُ العَقَدِيَـة وَالْفِكْرِيَـة هـيَ (المَارْكْـسية) كَـما يَرَاهَـا صُـنَّاعُهَا وَعُـشَّاقُهَا.. وَلمَّـا كانـتِ (المَارْكْـسيةُ) نَقْـداً لِمَـا هُـوَ سَـائِدٌ وهَـدْمٌ لَـهُ فَـلاَ بـدّ أنْ ننقـدَ - كـمَا يُرِيـدُ أدُونِـيسُ – مَـا هُـوَ سَـائِدٌ عنْـدَنَا وَنَهْدمـهُ لِنَبْنـيَ ((الْعَـالمَ الجَدِيـدَ)) عَـلىَ أَنْقَـاضِ الْعَـالمَ الْقَـدِيمِ الّـذي يقُـومُ فِي جَـوْهَرِهِ – ثَقَافَـةً وَحَيَـاةً – عَـلىَ الـدّينِ ، وَلِـذَا يَسْتَـشْهِدُ (أَدونـيس) بِمَقُولَـةِ «مَـارْكس لَعَنَـهُ اللهُ»: «نَقْـدُ الـدّينِ شَرْطٌ لِكُـلِّ نَقْـدٍ» وَهَـذا النّقْـدُ أَسَـاسُ بِنَـاءِ الْعَـصَرِ الجَدِيـدِ.. أي العَـصْر المَارْكْـسِي ..اهــ بتـصرّف [صـفحات مطويـة مـن التاريخ ج ١ص ٣١]».

ويقـول الـدكتور حلمـي القـاعود: «لا حاجـة إلى اسـتدعاء شـعر أدونـيس وتقـديم الـنماذج التـي تحمـل رمـوزا وأفكـاراً تعـبر وتـشير إلى طبيعـة حداثتـه ومنهجـة لأني سـأكتفي بقـراءة عـابرة لمجلتـه (مواقـف) التـي أصـدرها في بـيروت أواخـر عـام ١٩٦٨ عقـب هزيمـة ١٩٦٧ ففيهـا مـن فكـره الواضـح وسـلوكه الـصريح مـا يكفينـا عنـاء تفسير شـعره أو تأويلـه.. إنهـا المانفيـستو الـذي يعـبر عـن الرجـل ومـنهج الحداثـة في أرضيته الفكريـة وطلائـه الأدبي.. وأقـول أيـضا لا حاجـة بي إلى ترديـد مـا قيـل عـن الرجـل ونـشأته وتكوينـه الثقـافي وانتماءاتـه الطائفيـة وولائـه لمـن رعـوه علميـا وأدبيـا، فهـذه أيـضا قـد تـدخل في سـياق التأويـل الـذي يثـير مـن الجـدل أكثـر ممـا يثـير من الاتفاق.

إننـا سـنقرأ مـا كتبـه أدونـيس في مجلتـه (مواقـف) مـذيلا بتوقيعــه وخــط يــده.. في أول عــدد مــن مواقــف يفتتحــه أدونـيس بمقدمـة قـصيرة منهـا: نلتقـي في مواقـف كوكبـة مـن أصــدقاء تحتــضن أصــواتنا وأصــوات الخلاقــين جميعــا، تقاسـمنا لكـي تنمـو وتـستمر، خبزنـا اليـومي. إنهـا تعبـير عنـا وجـزء منـا وتكملـة لنـا. إنهـا لـذلك حقيقـة ورمـز تفجـر جيـل عـربي اختـبر مـا في الحيـاة العربيـة مـن تـصدع وخلـل قـرر أن يبحث من جديد، وأن يكتشف ويبني من جديد».

ويعلـق الـدكتور القـاعود عـلي ذلـك بقولـه :«إلى هنـا يبـدو كـلام أدونـيس مقبـولا لأنـه يتحـدث عـن موقـف ويرصـد حالـة ويعـبر عـن غايـة ولكنـه بعدئـذ يبـدأ في كـشف أوراقـه تـدريجيا حيـث يـتكلم عـن التـدمير والـرفض..: هكـذا تطمـح مواقـف إلى أن تكـون اسـتباقا، كـل اسـتباق إبـداع الإبـداع، هجـوم مـا نرفـضه وإقامـة مـا نريـده، الحـضارة إبـداع: ليـست اسـتخدام الأدوات بقـدر مـا هـي ابتكـار الأدوات كـذلك الثقافـة ليـست اســتعمال اللغــة بقــدر مــا هــي تجديــد اللغــة وخلقهــا المستمران».

ثـم يـستمر في حديثـه الـذي يكـشف عـن غايتـه الرافـضة المــدمرة: «المعرفــة، إذن هجــوم، هــي مــا لم نعرفــه بعــد، وليـست الحريـة إذن حـق التحـرك ضـمن المعلـوم المقـنن وحــسب، إنهــا إلى ذلــك وقبلــه، حــق البحــث والخلــق والـرفض والتجـاوز، إنهـا ممارسـة مـا لم نمارسـه بعـد: تلـك هي مواقف».

ويكــشف عــن الجــذر الحقيقــي لمنهجــه الهــادف إلى نـسف الثوابـت نـسفا كـاملا فيـصف (مواقـف) قـائلا: «إنهـا

مناخ للمجابهة. إنها فعل المجابهة، تزول في هذا الفعل هالة القداسة. لن تكون هناك موضوعات مقدسة لا يجوز بحثها. لن تكون هناك حقائق ينبغي إخفاؤها أو تجاهلها أو التغاضي عنها. هذا الفعل يتخطى كل تكريس، كل نهائية، كل سلطوية، إنه النقد الدائم وإعادة النظر الدائمة. إنه الطوفان المتلاحق الذي يغسل ويضيء كل شيء».

من نماذج شعره

ولأدونيس العديد من القصائد التي عدها الباحثون والنقاد مخالفة لقواعد الإسلام ومبادئه ومن نماذج ذلك:

قوله: كاهنة الأجيال قولي لنا شيئا عن الله الذي يولد

قولي أفي عينيه ما يعبد

وقوله: مات إله كان من هنا يهبط من جمجمة السماء

وقوله: لا الله أختار

وقوله: اعبر اعبر فوق الله والشيطان

وقوله: يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة

وقوله: نمضي ولا نصغي لذلك الإله.. تقنا إلى رب جديد سواه

أدونيس والقومية العربية

لا يحتاج موقف أدونيس الكاره للعربية والعرب أية محاولة للإثبات فتغيير اسمه العربي والتسمي باسم أدونيس كان إشارة ذات دلالة تفسر ما جاء بعدها من مواقف وكتابات أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن الرجل ليس فقط منحازا لقوميته الفينيقية إن صحت وإنما هو في حالة عداء صريح للعربية وهو العداء الذي كان أحد ما ورثه عن أستاذه أنطوان سعادة، الذي حمل أدونيس الكثير من أفكاره رغم تركه لحزبه في مرحلة مبكرة من حياته عام ١٩٦٠.

وعن ذلك يقول الأستاذ أنور الجندي: «وقد حمل أدونيس كل مفاهيم أنطون سعادة فِي كَراهيَة العروبة والإسلام واحتقار الواقع المعاصر والدعوة إلى تغييره وإحياء تراث الفينيقية القديم باعتبار فينيقيا هي الفردوس المفقود عند القوميين السوريين».

وينقل الدكتور سيد العفاني في كتابه «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام» عن الناقد رجاء النقاش قوله: «أدونيس يكره مصر العربية ويكره العروبة كلها فأدونيس نشأ في أحضان الحزب القومي السوري الذي أسسه أنطون سعادة في لبنان في الثلاثينيات، وهذا الحزب بشهادة جميع الباحثين الجادين المحايدين في تاريخه وفكره هو حزب فاشي عنصري معادٍ أشد العداء للعرب والعروبة ويرفض أي ارتباط جوهري بين مصر والعرب وقد كان اتصال أدونيس بأنطون سعادة والحزب القومي السوري قويًّا، وأنطون سعادة هو الذي اختار لأدونيس اسمه المستعار بدلًا من اسمه الأصلي علي أحمد سعيد».

العنف ضد المرأة...
قراءة في إشكاليات الفكر النسوي

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بـ «الراصد»

تعد قضية العنف ضد المرأة واحدة من أهم القضايا التي شغلت الفكر النسوي وتم تدشينها باعتبارها القضية الأولى للنساء في العالم وتم تحديد مفهوم هذا العنف بطريقة بالغة التطرف كما تم تقديم توصيات عالمية إلزامية لحل هذه القضية بطريقة لا تقل تطرفا.

لا أحد ينكر أن هناك عنفا يقع على النساء في مختلف أنحاء الأرض وهو عنف ذو جذور تاريخية

(*) باحثة مصرية.

بدليل تلك الحملة القوية التي شنها القرآن الكريم على عرب الجاهلية الذين وصل بهم العنف ضد النساء حد القتل والحرمان من الحياة لأنهن بزعمهم مظنة الفقر والعار حتى أن القرآن الكريم ربط بين الأهوال الكونية التي تحدث يوم القيامة وبين الأهوال التي يقوم بها الإنسان، وضرب بذلك مثلا قتل الإناث . أعلى درجات العنف المتصورة. ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨-٩].

ولا تزال النساء حتى اللحظة الراهنة يعانين من العنف الذي يصل لحد القتل، يحدث ذلك في قلب المدنيات الغربية المتحصنة بالفكر النسوي، فليس هناك من ينكر وجود العنف ولكن الإشكالية تكمن في تعريف العنف ضد النساء تحديدا؟ ما هي درجاته؟ ما هي أسبابه؟ كيف يمكن علاجه؟

تعريفات متطرفة

المتتبع للتعريفات النسوية ذات الطابع الأممي/ العلماني يلحظ أمرين بالغي الأهمية:

الملاحظة الأولى: أن هذه التعريفات تبدأ بداية مطاطية غائمة تستخدم مصطلحات عامة وكلمات شبه محايدة ثم تبدأ في مؤتمرات لاحقة بتقديم توضيحات أكثر وكلمات أكثر تحديدا ولا تلبث إلا قليلا وبعد أن تطمئن لتحقيق درجة من النجاح وفقا للخطة المرسومة في إضافة أبعاد أخرى أكثر تطرفا.

الملاحظة الثانية: أنها دائما ما تمزج بين قضايا صحيحة إنسانيا ومنطقيا وقضايا أخرى شاذة وكأنما تستمد شرعيتها باقترانها بتلك القضايا الصحيحة، وتعد قضية العنف ضد النساء واحدة من أوضح الأمثلة التي تؤكد هذه الخطة في تمرير تلك الآراء الشاذة، ولنأخذ بعض التعريفات التي جاءت في الوثائق الدولية كدليل على ذلك:

يعرف «الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد النساء» في مادته الأولى العنف كالتالي[(١)]: «يقصد بالعنف ضد النساء أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو نفسية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء أوَقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة»، كما نص الإعلان في المادة الثانية منه على وجوب أن يشمل العنف ضد المرأة (دون أن يقتصر على ذلك) الجوانب التالية: أعمال العنف الجسدي والجنسي والنفسي الذي يقع في إطار الأسرة والعنف المتصل بالمهر (استعمال الصداق كثمن للزوجة) والاغتصاب في إطار العلاقة الزوجية وبتر الأعضاء التناسلية للإناث (الختان) وغيره من الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة داخل أو خارج العلاقة الزوجية.

يلاحظ هنا الربط بين قضايا مسلّم بصحتها كأعمال العنف الجسدي وقضايا شوهت كالمهر الذي هو هدية تقدير وإعزاز للعروس وتحويله لثمن سلعة، وبين مصطلح يستخدم للمرة الأولى وهو الاغتصاب داخل العلاقة الزوجية، وهو أمر مثير للدهشة فكيف يكون اغتصاباً وفي الوقت نفسه داخل العلاقة الزوجية فمعنى إقامة علاقة زوجية هو رضى كل من الزوج والزوج بإقامة علاقة جنسية شريفة مع الطرف الآخر، فلو أن الزوجة تشعر ببعض الفتور فهل يسمى ذلك تحرشا واغتصابا؟ أمر غير مفهوم على الإطلاق، وعلى الرغم من ذلك وجد هذا المصطلح انتشارا كبيرا في أدبيات الفكر النسوي ومن ثم المواثيق

---

(١) جميع نصوص المواد الأممية المتعلقة بقضية العنف ضد المرأة نقلا عن بحث المهندسة كاميليا حلمي: دور القيم في مواجهة العنف المنزلي.

والاتفاقات الدولية. حتى أن منظمة العفو الدولية وجهت دعوة صريحة لاستحداث قوانين لمحاكمة الأزواج الذين يغتصبون زوجاتهم!!

تفاصيل أخرى

تتضح تفاصيل أخرى عن الخداع عبر التوسع في مفهوم العنف ضد النساء أو العنف المنزلي أكثر في تعريف منظمة الصحة العالمية وهو: «كل سلوك يصدر في إطار علاقة حميمة يسبب ضررا أو آلاما جسيمة أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة ويتعلق الأمر مثلا بالتصرفات التالية:

- أعمال الاعتداء الجسدي، كاللكمات والصفعات والضرب بالأرجل.
- أعمال العنف النفسي كاللجوء إلى الإهانة والحط من قيمة الشريك، وإشعاره بالخجل، ودفعه إلى الانطواء وفقدان الثقة بالنفس.
- أعمال العنف الجنسي، ويشمل كل أشكال الاتصال الجنسي المفروضة تحت الإكراه، وضد رغبة الآخر، وكذا مختلف الممارسات الجنسية التي تُحدث الضرر لطرف العلاقة.
- العنف الذي يشمل مختلف التصرفات السلطوية المستبدة والجائرة، كعزلة الشريك عن محيطه العائلي وأصدقائه، ومراقبة حركاته وأفعاله، والحد من أية إمكانية لحصوله على مساعدة أو على معلومات من مصدر خارجي».

فبينما تبدو الصورة ضبابية في تعريف ذلك العنف النفسي الذي يدفع للانطواء فهو أمر غير قابل للقياس ولا يمكن وضع قانون خاص به، وبالمقابل هل ينطبق هذا على الزوجة التي تحرم زوجها من حقه الطبيعي في الإشباع فتمارس عليه العنف النفسي الذي قد يفضي به إلى الكبت أو الرذيلة؟!

ولكن الكلمات تبدو أكثر تعبيرا في الحديث عن العنف الجنسي الذي يبدأ بالحديث عن الإكراه وينتهي للحديث عن مجرد عدم الرغبة، فلو أن زوجة لا تشعر برغبة في الممارسة الجنسية ثم خشيت أن يغضب زوجها أو تلجئه إلى محرم أو حتى خشيت من عصبيته معها فهي في وضع المغتصبة المهدر حقها!!!

قوانين الاحتمال

لم يتم بحث قضية العنف في المؤتمرات الدولية بطريقة علمية محايدة بل كانت واقعة تحت جماعات الضغط النسوي المتطرفة التي كانت تضع البنود وفقا لقوانين الاحتمال التي كانت تتخيلها فلقد جاء تعريف العنف في وثيقة بكين ١٩٩٥: «أي عمل من أعمال العنف القائم على الجندر يترتب عليه أو من المحتمل أن يترتب عليه أذى بدني أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة بما في ذلك التهديد بالقيام بأعمال من هذا القبيل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواءٌ حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة ، وبناءً على ذلك يشمل العنف ضد المرأة ما يلي، على سبيل المثال:

- أعمال العنف البدني والجنسي والنفسي التي تحدث في الأسرة، بما في ذلك الضرب والاعتداء الجنسي على الأطفال الإناث في الأسرة المعيشية، وأعمال العنف المتعلقة باغتصاب الزوجة، وختان الإناث، وغير ذلك من التقاليد الضارة بالمرأة، وأعمال العنف بين غير المتزوجين، وأعمال العنف المتعلقة بالاستغلال (البند ١١٣ بكين).

فلو أن هناك اعتداء جنسياً على الذكور ألا يستحق وضع بند خاص ويلاحظ أيضا الربط بين الاعتداء الجنسي على الأطفال واغتصاب الزوجات وعدم الحديث عن معايير معتمدة تحدد متى نعتبر هذه التقاليد والثقافات ضارة، والشيء الذي لم يسبب ضرراً من يستطيع أن يقرر أنه من المحتمل أن يسبب ضرراً؟؟

وصاية على النساء

من الملاحظ أيضا على مثل هذه التقارير والتعريفات الأممية هو فرض وصاية فكرية وثقافية على جماهير النساء باعتبارهن لا يعرفن مصلحتهن الحقيقية، فالديمقراطية لا يتم التعامل معها إلا عندما تحقق ما يرغبون فيه، فلو كانت الأغلبية الساحقة من النساء لا تتجاوب مع الفكر النسوي فسوف يتم ضرب الحائط بآراء النساء ففي «تقرير اليونيسيف عن العنف المنزلي، يونيو ٢٠٠٠» وتحت عنوان «الاستغلال الجنسي والاغتصاب في العلاقات الحميمة» قالوا: «إن الاعتداء الجنسي والاغتصاب بين الأزواج لا يعد جريمةً في معظم الدول، كما أن النساء في العديد من المجتمعات لا تعتبر الجنس الإجباري اغتصابًا إذا كانوا متزوجين أو يعيشون كالأزواج، المشكلة هنا أن المرأة بمجرد أن توقِّع على عقد الزواج فإن الزوج له الحق اللامحدود في الاتصال الجنسي مع زوجته؛ لذلك فإن بعض الدول قد اتجهت لسن تشريعات ضد الاغتصاب الزوجي، بالرغم من أن شروط بعض القوانين تضمن إحداث تقدم، فإن تحقيق ذلك غالبًا ما يكون صعبًا على النساء لتجميع وحشد براهين وقوانين إثبات الجريمة».

ويعدد التقرير عوامل ارتكاب العنف المنزلي:

ثقافية:

١. التصنيف الجندري اجتماعيًا (كأن الجندر أمر مقدس).

٢. التعريف الثقافي لأدوار الجنسين (وصاية ثقافية).

٣. توقعات الأدوار بين الجنسين في العلاقات (إعادة تخطيط الحياة الاجتماعية).

٤. الإيمان بازدياد ميراث الرجل عن المرأة (مع تجاهل أن هذا في حالات محددة يطالب فيها الرجل بالنفقة وحده).

٥. القيم التي تعطي للرجل حقوقًا تعلو على النساء والفتيات (ماهية هذه القيم وما هي الواجبات المنوطة به في المقابل من ذلك).

٦. مفهوم أن الأسرة هي محور خاص تحت تحكم وسيطرة الرجل (تشويه لمفهوم القوامة).

٧. تقاليد الزواج (الهجوم غير المبرر على المهر).

٨. الموافقة على العنف كوسيلة لفض النزاع (لم يتم تعريف المقصود بالعنف تحديدا).

اقتصادية:

١. الاعتماد الاقتصادي للمرأة على الرجل (هدم حقوق المرأة).

٢. القوانين المميزة بخصوص الميراث وحقوق الملكية وإعالة المطلقة والأرملة (عدم فهم لفلسفة الميراث).

تشريعية:

١. المكانة الأقل للمرأة في التشريعات، سواء القوانين المكتوبة أو الممارسات (المساواة التماثلية المطلقة).

٢. القوانين المتعلقة بالطلاق، الوصاية على الأطفال، الإعالة والميراث (تدخل إجباري في صميم الحياة الأسرية).

٣. التعريفات القانونية للاغتصاب والإيذاء الجنسي المنزلي (تدخل في أعمق الخصوصيات الإنسانية وليّ لأعناق الحقائق).

بين العنف المزيف والحقيقي

لعل المتابع والمدقق للتعريفات الواردة في السطور السابقة لن يجد كبير عناء في اكتشاف كم التعنت والتوسع في استخدام مصطلح وتعبير العنف بحيث تصبح الحياة الزوجية بالغة التعقيد كما يلاحظ كم التحيز الثقافي والمعرفي في النظر لهذه القضية وتبني وجهة نظر غربية/ علمانية وفرضها على جميع الناس رغم مخالفة شريعتنا ومن ثم ثقافتنا، ولعل اعتبار إنفاق الرجل على زوجته لوناً

من ألوان ممارسة العنف دليل لا يقبل الشك على مثل هذا التعسف والتحيز وقلب الأمور البدهية بحيث يصبح التكريم إهانة تستحق العقاب!!

هناك إذن خطة محكمة لإلباس المزيف ثوب الحقيقة الصادقة التي لا تقبل الجدل وهو ما يصرح به (البند ١٢٤ – أ بكين):

– إدانة العنف ضد المرأة والامتناع عن التذرع بأي عرف أو تقليد أو اعتبار ديني تجنبًا للوفاء بالتزاماتها والقضاء عليه، كما هو مبيَّنٌ في إعلان القضاء على العنف ضد المرأة.

– تمكين النساء اللواتي يُمارَس العنف ضدهن من الوصول إلى آليات العدالة وكذلك على النحو المنصوص عليه في القوانين الوطنية، وسائل الانتصاف عاجلة وفعالة ترفع عنهن الأذى الذي يلحق بهن، وإعلامهن بحقوقهن الخاصة بالتماس التعويض من خلال الآليات.

لذلك تبدو الحاجة ماسة وملحة لمواجهة هذه المخططات المنظمة عن طريق نقدنا الذاتي الذي لا يخشى من مواجهة أي أخطاء مجتمعية ولا يسرف في جلد الذات الحضارية ويرتكز بصورة أساسية على شريعتنا بمبادئها السامية ونظرتها الصادقة لواقع الإنسان ولو تأملنا كيف واجه النبي ﷺ قضية العنف ضد النساء في المجتمع الإسلامي لوضعنا أيدينا على المبادئ الحاكمة في مواجهة هذه المشكلة.

.فالنبي ﷺ هو الأسوة الحسنة واجبة الاتباع ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] ، لم يمارس أي عنف جسدي أو لفظي وكان عندما يغضب يُعرف ذلك في وجهه، وكان رحيما لينا يحب الرفق في الأمر كله.

ـ عندما ذهبت فاطمة بنت قيس تستشير الرسول ﷺ في أمر خطبتها من أبي جهم رفضه النبي ﷺ لأنه لا يضع العصا عن عاتقه (كناية عن الضرب وعنف السلوك)، فالرجل العنيف بحاجة لإعادة تأهيل وفق القيم السلوكية الإسلامية الراقية حتى يُقبل كزوج.

ـ نهى النبي ﷺ عن ضرب النساء فهو سلوك غير مقبول فيه امتهان للنساء، ولكن هناك تعقيدات كثيرة في السلوك البشري فبعض الرجال لا يمتلكون المهارات اللازمة للتعبير عن الغضب فيتعاملون بعنف، وبعض النساء يستشعرن أنوثتهن بالتعامل العنيف بعض الشيء وهي حالات مثبتة علمياً في الطب النفسي.

ومن المعلوم أن تغيير المنكر لا ينبغي أن يترتب عليه منكر أكبر ولاشك أن هدم بنيان الأسرة هو من أكبر المنكرات لذلك فقد أذن الرسول في الضرب بصورة جزئية مؤقتة حتى يستطيع الرجال التمثل به تماما في سلوكياته ويكونون من الأخيار الذين لا يمارسون هذا السلوك، فقد روى أحمد والنسائي وأبو داود أن النبي ﷺ قال: (لا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِّ «فَجَاءَ عُمَر فَقَالَ: قَدْ ذَئِرَ النِّسَاء عَلَى أَزْوَاجهنَّ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَضَرَبُوهُنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُول اللهِّ ﷺ نِسَاء كَثِير فَقَالَ : لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ رَسُول اللهِّ ﷺ سَبْعُونَ اِمْرَأَة كُلّهنَّ يَشْكِينَ أَزْوَاجهنَّ، وَلا تَجِدُونَ أُولَئِكَ خِيَاركُمْ»، فالذي يمارس العنف لا يمكن بحال أن يكون إنسان خير وهو بحاجة لتعليم وتربية وتهذيب ولكن لا يصل الأمر إلى حد هدم بيته.

أما عن آية (فاضربوهن) فهي ليست للوجوب ولكن للإباحة، وذلك لتنوع السلوك البشري تنوعا كبيرا[1]، قال عطاء: «لا يضربها وإن أمرها ونهاها فلم تطعه، ولكن يغضب عليها. قال القاضي: هذا من فقه عطاء، فإنه من فهمه بالشريعة ووقوفه على مظان الاجتهاد علم أن الأمر بالضرب هاهنا أمر إباحة، ووقف على الكراهية من طريق أخرى في قول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن زمعة: «إني لأكره للرجل يضرب أمته عند غضبه، ولعله أن يضاجعها من يومه».

---

(١) من الأهمية بمكان الاسترشاد برأي علماء النفس والأدباء في قضية حاجة بعض النساء أحيانا لشيء من الشدة في التعامل وسعادتهن بذلك ومدى اقتراب ذلك من الحالة الطبيعية أو المرضية.

من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران (١٠):
إيران تضطهد حتى جماعة الإخوان المسلمين الإيرانية!!

أسامة شحادة (*) - خاص بـ «الراصد»

برغم تشدق إيران بصداقتها وعلاقتها المميزة بجماعات الإخوان المسلمين العربية إلا أنها في نفس الوقت تضطهد جماعة الإخوان في إيران والتي تعرف باسم جماعة الدعوة والإصلاح!!

ومن التناقضات العجيبة في مواقف إيران أنها حشدت مؤخراً ١٠٠٠ شخص (٦٠٠ من الخارج، و٤٠٠ من الداخل) للمشاركة في مؤتمر الصحوة الإسلامية الأول في شهر ٩/ ٢٠١١ إلا أنها لم تدعُ جماعة الدعوة والإصلاح لهذا المؤتمر!!

فعن أي صحوة تتحدث إيران ومتى نفهم حقيقة هذه المؤتمرات الإيرانية التي يراد بها عموماً كسب الولاء لإيران وتعزيز نفوذها، أما هذا المؤتمر فمقصوده الأول تعويض خسارة إيران شعبيتها في الشارع العربي بسبب موقفها المخزي في مساندة نظام بشار الأسد في قتل الشعب السوري، وللتعويض عن فشل لعبة مؤتمرات التقريب فلجأت إلى شعار جديد «الصحوة الإسلامية» بدلاً عن التقريب بين المذاهب الإسلامية.

جماعة الدعوة والإصلاح:

بحسب موقع الموسوعة الإخوانية فإن «جماعة الدعوة والإصلاح في إيران والتي تمثل الإخوان المسلمين في إيران، تأسست في بداية انتصار الثورة في ١٩٧٩ على يد مجموعةٍ من الدعاة المتأثرين بالصحوة الإسلامية العالمية في أوساط أهل السنة والجماعة قبل ثلاثين سنة، وعلى رأسهم الشيخ ناصر سبحاني، وهي جماعة إسلامية إيرانية مستقلة ولها وجودها ورموزها في كل المحافظات التي يقطنها أهل السنة في إيران وتمارس نشاطاتها بشكل شبه رسمي.. وإن جماعة الدعوة والإصلاح مع كونها مستقلة في اتخاذ مواقفها وقراراتها، تلتزم بمبادئ حركة الإخوان المسلمين وثوابتها وتفتخر بانتمائها الفكريّ لها».

ومن خلال بعض المقالات المتناثرة في الإنترنت يمكن أن نتصور وضع جماعة الدعوة والإصلاح كما يلي:

* مركز الجماعة في طهران، ولها فروع وأعضاء ونشاطات منظمة في ١٢ محافظة ذات أغلبية سنية.

* لم تحصل الجماعة على ترخيص لبناء مسجد في طهران منذ ثلاثين سنة!! ولكن تقام صلاة الجمعة في خمسة أماكن في مدينة طهران، أشهرها في حي الصادقية الذي تشرف عليه الجماعة، كما أن الجماعة بجانب نشاطاتها الدعوية استطاعت - ولله الحمد -

(*) كاتب أردني.

بمساعدة أهل الخير أن تقوم ببناء ١٦٠٠ مسجد لأهل السنة في جميع المحافظات السنية.

* بدؤوا في الآونة الأخيرة يظهرون على السطح بشكل تدريجي، وكانت نشاطاتهم في الماضي تتسم بالسرية والخفاء.

* ويعد الأستاذ عبد الرحمن بيراني هو الأمين العام الحالي للجماعة منذ العام ١٩٩١.

السلطات الإيرانية تقتل بعض زعماء الإخوان:

وكان من أبرز مؤسسي جماعة الدعوة والإصلاح الأستاذ ناصر سبحاني والشيخ فاروق فرساد وهما من الشخصيات الإسلامية الكردية المعروفة على المستوى الإيراني، وقد أعدم أحدهما واغتيل الآخر على يد السلطات الإيرانية.

الشيخ ناصر سبحاني:

والذي يعد مؤسس الجماعة ومرشدها، ولد عام ١٩٥١ في قرية (دوريسان) التابعة لمدينة (باوه) في كردستان إيران، وبعد إكمال دراسته المتوسطة تحول إلى دراسة العلوم الشرعية ودرس على يد العلماء الكبار في ايران وحصل على الإجازة العلمية.

عندما قامت الثورة في ايران زار قادة الثورة عدة مرات وأوصل لهم مطالب الشعب الكردي.

كان رحمه الله يعتبر من كبار روّاد الصحوة الإسلامية المباركة ومن الذين زرعوا دعوة الإخوان المسلمين في إيران بمعاونة عدد من الدعاة في كردستان العراق.

اعتقل رحمه الله في حزيران ١٩٨٩ في مدينة سنندج عاصمة إقليم كردستان إيران وبقي في السجن قرابة عام. ولقد تواترت الأنباء بأنه كان طيلة بقائه في السجن صابرا محتسبا مقاوما مدافعا عن آرائه واجتهاداته، إلى أن أعلنت السلطات الإيرانية خبر استشهاده محكوما بالإعدام في يوم عيد الأضحى المبارك ١٩٩٠.

الشيخ فاروق فرساد:

الشيخ فاروق فرساد، كان له دور بارز في الدعوة، وكان له حلقات علم في منطقته، اعتقل وعذب وسجن عدة سنوات ثم أبعد إلى مدينة أرومية لمدت خمس سنوات وبعد انقضاء مدة الإبعاد تم اغتياله في عام ١٩٩٦م في منفاه.

البيان الأول للجماعة يكشف الظلم الواقع على أهل السنة:

أصدرت جماعة الدعوة والإصلاح السنية في إيران بيانا سياسيا في ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٩ طالبت فيه المرشحين للرئاسة بوجوب العمل على تطبيق العدل ورفع جميع أشكال التمييز المذهبي والقومي ضد أهل السنة على اختلاف أعراقهم ولغاتهم، من خلال المطالب العشرة التالية:

أولا: تحقيق مطالب عامة الشعب الإيراني ووحدة التضامن الوطني التي لا تتحقق إلا بمشاركة الجميع وذلك من خلال إقامة انتخابات تنافسية حرة ونزيهة.

ثانيا: من اللائق إعطاء الأهمية لإجراء حوار متساوٍ وعادل بين الأقوام والمذاهب في البلاد وأن يُهيأ لهذا الحوار برفع الإجراءات التمييزية وتطبيق البنود المعطلة من الدستور أولا.

ثالثا: الاهتمام الجدي بتنفيذ المادة الثانية عشرة من الدستور الإيراني والتي تنص على أن في كل منطقة يتمتع أتباع أحد المذاهب بالأكثرية، فإن الأحكام

المحلية لتلك المنطقة تكون وفق ذلك المذهب مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى وعدم التدخل في شؤونهم المذهبية.

رابعــا: الاهتمام الجدي بحماية الهوية القومية واحترام ومراعاة الأقليات نظرًا لوجود التنوع الثقافي والقومي في إيران والتأكيد على تنفيذ المادة الخامسة عشرة من الدستور التي تنص على وجوب تدريس لغات تلك القومية في مختلف المراحل التعليمية.

خامسا: بما أنه يوجد نص قانوني يمنع من تسلم مواطن مسلم سني منصب رئاسة الجمهورية فإن حرمان أهل السنة من استلام حقائب وزارية نعده خرقًا لحقوقنا الأساسية ومنها حق المواطنة، لذا فإننا نصر على حضور أهل السنة في التركيبة الوزارية القادمة.

سادســا: العمل على التنمية والتوسعة الثقافية في مناطق أهل السنة مع توفير الأرضية اللازمة لذلك من خلال إعطاء التراخيص من أجل إصدار النشرات ورفع الرقابة عن الكتب الخاصة بهم.

سـابعا: تفويض شؤون الأوقاف السنية بإدارة سائر الأمور الدينية ومنها على الأعم انتخاب أئمة الجمعة والجماعة وإدارة المدارس الدينية وإقامة الأعياد لأهل السنة أنفسهم.

ثامنــا: الاهتمام الجدي بالتنمية الاقتصادية لمناطق أهل السنة عن طريق إقامة البنى التحتية وبناء المؤسسات الصناعية، واستخراج الثروات الطبيعية، وإيجاد فرص عمل من أجل القضاء على معضلة البطالة، ووضع ميزانية خاصة لتلك المناطق.

تاســعا: الاستفادة من طاقات أهل السنة في المناصب الإدارية في الوزارات والسفارات وحكام الأقاليم والمحافظات والمراكز العلمية والثقافية والجامعات وذلك بهدف تطبيق العدالة في توزيع المناصب الإدارية.

عــاشرًا: إعادة النظر في محتوى الكتب والتعاليم الدينية والاهتمام بأصول عقيدة أهل السنة والجماعة وفِقه الإمام الأعظم والإمام الشافعي، رحمهما الله . أ.هـ

وطبعاً لا بد من الانتباه إلى اللغة الدبلوماسية التي كتبت بها هذه المطالب وهي من بدايات الظهور العلني للجماعة.

مقابلة مع الأمين العام لجماعة الدعوة والإصلاح:

قامت صحيفة الشرق الأوسط (٤/ ٧/ ٢٠١٠) بإجراء مقابلة مع الأمين العام للجماعة، الأستاذ عبد الرحمن محمد، عبر البريد الإلكتروني، جاء فيها:

* كيف تتعامل معكم الحكومة الإيرانية بما أنكم لستم حزبا رسميا؟

- إن الجماعة منذ بداية تأسيسها أخذت بعين الاعتبار التنوع القومي والفوارق المذهبية والخلافات التاريخية، وتعاملت معه بواقعية وحكمة، وانتهجت منهجا وسطيا في الفكر والسلوك بعيدا عن التطرف وإثارة الخلافات. فتوسعت دائرة نشاطات الجماعة ووصلت إلى جميع المحافظات التي يقطنها أهل السنة على مستوى العلماء والمدارس الشرعية الأهلية وكذلك في الوسط الطلابي والقطاع النسائي ومؤسسات المجتمع المدني، واحتفظت الجماعة بعلاقتها مع التيارات الأخرى في الداخل.

وعلى صعيد العالم الإسلامي لنا علاقات مع القيادات الفكرية والعلماء والرموز وصرنا عضوا

مؤسسا في اتحاد المنظمات الأهلية في العالم الإسلامي وكذلك في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. نحن من جانبنا قررنا الالتزام بقاعدة الحوار وحل المشكلات بطرقها القانونية بعيدا عن الصخب الإعلامي، وفي المقابل تتعامل الحكومة معنا بشكل شبه رسمي، ونحن نرى أن هذا الأسلوب هو الأفضل لحل المشكلات، وبالأخير نحن مع الحرية للجميع والانفتاح السياسي والثقة المتبادلة بين الشعب والحكومة.

* كيف ترون الموقف العربي والإسلامي من قضايا السنة ومطالبهم في إيران؟

– في حين أننا نرفض أي تدخل من قبل الدول في شؤون الآخرين، لكن نظرا لوجود الأقليات المذهبية في بعض المجتمعات الإسلامية ووجود الخلافات الفكرية والتاريخية التي ليست وليدة الحاضر وبعضها يرجع إلى ألف عام ولا يمكن وضع حلول سريعة أو عابرة لها، وكذلك وجود أرضية لإثارة هذه الخلافات وتحويلها إلى نزاعات وعداوات والاعتداء على الحقوق وتهدر بعض طاقات الأمة كما رأينا في دول الجوار لنا، لأن التفرق والاختلاف قد يتطوران إلى تناحر واحتراب، وهذا من الخطورة بمكان.

بناء على هذا، كان من الأجدر أن تعتني الحكومات والنخب الفكرية والعلماء بهذه القضايا وتتعاون في ما بينها لحل المشكلات بشكل سلمي حضاري، ولا شك أن الخلافات المذهبية جزء مهم من الواقع لا يمكن إهمالها وليس من الصحيح إثارتها، ونعتقد أن رد الفعل المتعصب تجاه التعصب المذهبي وإثارة الخلافات لن تخدم حل المشكلة، وسبق أن كان لنا اقتراح بهذا الشأن تم تقديمه إلى العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كمشروع يدعو إلى إعداد وثيقة تنطوي على الحقوق والواجبات للأقليات المسلمة السنية والشيعية في البلدان الإسلامية على غرار ما شاهدناه من جهود مباركة بالنسبة إلى حقوق الأقليات المسلمة الموجودة في المجتمعات الغربية.

* من وجهة نظركم، كيف هي أوضاع السنة حاليا في إيران؟ هل ترون أن السنة يتعرضون للتمييز أو الاضطهاد؟

– كان أمل قيادات السنة بالثورة الإسلامية في إيران كبيرا، في القضاء على الخلافات والأحقاد التاريخية وبتوفير المساواة بين المواطنين، ونجحت قيادات الثورة في كتابة دستور يلبي معظم مطالب المجتمع عموما ويصرح بالحقوق الأساسية والحريات العامة للمواطنين جميعا، إلاّ في بعض أصوله التي تنص على المذهب الرسمي الجعفري ومنع السنة من الترشح لرئاسة الجمهورية، والتي قد اعترض عليها بعض قيادات السنة آنذاك.

لكن نسبة النجاح في تطبيق الدستور كانت أقل من المتوقع لأسباب لسنا بصدد الخوض فيها. فبالتالي، هناك مشكلات وبطبيعة الحال لا ننفي وجودها، وفي المقابل ليست كل الأبواب مغلقة. على سبيل المثال كما اشتهر موضوع عدم السماح ببناء المساجد لأهل السنة في العاصمة طهران، قد احتويناها بحل متوسط من خلال فتح عدة مصليات لإقامة صلاة الجمعة والعيدين والتراويح في العاصمة، وتتعامل الحكومة معها بالتسامح، وأحيانا تتعاون لحل بعض المشكلات الطارئة أمام هذه المصليات.

* هل تؤيدون استمرار احتلال إيران لجزر

الإمارات؟

- أولا، لا نوافق على استخدام كلمة الاحتلال، ثانيا كلنا نعلم أن هناك خلافات حدودية بين معظم الدول في المنطقة يجدر حلها من خلال الحوار. كذلك بالنسبة إلى الجزر ينبغي الجلوس على طاولة الحوار وإزالة سوء التفاهم، ولا شك في أن إيران والإمارات الشقيقة تجمعهما الاشتراكات الدينية والثقافية، إلى جانب مستويات من العلاقات العائلية بين الشعبين و.. فينبغي حل هذا الخلاف بطريق سلمي وحضاري ونتمنى ذلك.

* كيف ترون محاولات التقريب بين السنة والشيعة؟

- لا شك في أن فكرة التقارب والحوار بين أتباع المذاهب كانت ثمرة مباركة لجهود طيبة قامت بها قيادات بارزة للصحوة الإسلامية المعاصرة كأمثال سيد جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا والإمام البنا وعلماء الأزهر الشريف والشيخ محمد تقي القمي، فبادروا بإطلاق مشروع حكيم يرنو إلى الوحدة الإسلامية والتقارب بين أتباع المذاهب، حيث تم إنشاء أول دار للتقريب في القاهرة، وكان هذا المشروع إحدى ثمار المدرسة الفكرية الإصلاحية التي مهدت الطريق أمام قبول الآخر والتعامل مع الآراء المخالفة من منطلق مبدأ تعدد الآراء والاجتهاد المشروع، وتعبّر عن هذا الانفتاح القاعدة الذهبية «نتعاون في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا في ما اختلفنا فيه»، وإن جماعة الإخوان تبنت هذه الفكرة، وقد تربي جيل من المفكرين في مدرسة الإخوان عاشوا فوق الفوارق القومية واللغوية والمذهبية وتعاملوا معها تعاملا إسلاميا حضاريا، وبات هذا ديدنة الجماعة وصبغتها.

وبعد الثورة الإسلامية في إيران، تم تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وأقام هذا المجمع مؤتمرات عالمية بحضور بعض العلماء وقادة الفكر في الداخل وفي الخارج وبذل جهودا كثيرة وحقق أهدافا. لكن في ظل الأوضاع الراهنة التي كثرت فيها الخلافات والنزاعات والتحديات وتقلصت فيها نسبة الثقة المتبادلة بين الفريقين، نحن نرى أن تحقيق الهدف المنشود لمشروع الوحدة الإسلامية يتطلب إرادة قوية صادقة إلى جانب مشاركة الرموز والمرجعيات الفكرية المؤثرة من الفريقين، بالإضافة إلي مسايرة الرأي العام وإقناعه بضرورة التقارب، لأن اتفاق القيادات الفكرية والسياسية على أمر ما سهل، ولكن إقناع الشعب هو الجانب الرئيس في القضية. أ.هـ

وطبعاً واضح هنا من حديث الأستاذ عبد الرحمن محمد الدبلوماسية الزائدة في الإجابات والتي تتضح أكثر حين تُقارن بالمطالب الشيعية المتطرفة والأوصاف الجائرة التي تطلقها القيادات الشيعية والمتشيعة في الدول السنية.

فإذا كانت جماعة الإخوان الإيرانية لم تستطع بناء مسجد في طهران، منذ أكثر من ٣٠ سنة، ولا المشاركة في الحكومة كما هو حاصل للأقليات الشيعية في دول الخليج، وإدارة مؤسساتهم الدينية والتعليمية بحرية وفق مذهبهم، ولا الحصول على العدالة في الحقوق الأساسية، فهل يمكن لعاقل أن يصدق رغبة إيران بالتعاون والوحدة مع السنة خارج إيران؟؟؟



حادثة النخيب
تجدد مطامع الشيعة في الأنبار

صباح العجاج(*) – خاص بالراصد

شهدت منطقة وادي القذر، التي تبعد نحو ٧٠ كم عن مركز ناحية النخيب التابعة لمحافظة الأنبار السنية يوم ١٢/ ٩/ ٢٠١١، عملية اختطاف لحافلة ركاب قادمة من سوريا، ومن ثم قام المختطفون بقتل ٢٢ رجلاً كانوا على متن الحافلة بينهم اثنان من أهالي الفلوجة ومواطن سوري هو سائق الحافلة والبقية هم شيعة من محافظة كربلاء؛ كما تمّ لاحقاً اكتشاف جثتي شخصين آخرين في مكان قريب من موقع الجريمة، وبعد ثلاثة أيام (١٥/ ٩/ ٢٠١١) اقتحمت قوة عسكرية تابعة لمجلس محافظة كربلاء قضاءَ الرطبة التابع لمحافظة الأنبار واعتقلت عدداً من الأشخاص بينهم إمام وخطيب مسجد الرطبة بتهمة الضلوع في حادثة حافلة النخيب.

كان لهذا الحادث تداعيات متنوعة من كلا الطرفين الشيعي والسني، إذ اعتبر أهل الأنبار اقتحام قوات محافظة كربلاء لمحافظتهم جريمة اختطاف، وخرج أهالي الأنبار في تظاهرات غاضبة، وأصدرت محافظة الأنبار أوامر للقوات الأمنية بالمحافظة بمنع دخول أي قوة إليها من خارجها دون سند قانوني، وإنه في حالة عجزها عن القيام بذلك سيتم الاستعانة بعشائر الأنبار، وأمهل مجلس محافظة الأنبار مجلس محافظة كربلاء ٢٤ ساعة لتسليم المعتقلين إليه، وهدد بقطع طريق كربلاء - سوريا، وأما أمير عشائر الدليم، علي حاتم السليمان، فقد هدّدَ بـ «قطع يد» حزب الدعوة – الذي يتزعمه المالكي – إذا لم يتم إعادة المعتقلين العشرة إلى بغداد، أما زعيم صحوة العراق أحمد أبو ريشة فقد اتهم رئيسَ مجلس محافظة كربلاء محمد الموسوي باختطاف ثمانية مواطنين من الأنبار بالتواطؤ مع قيادة عملياتها، وطالب أهالي الأنبار بإقالة قائد عمليات الأنبار لتواطئه، وطالبوا بإخراج قطعات الجيش التابعة للحكومة المركزية من المحافظة، وتسليم المسؤولية الأمنية للقوات الأمنية التابعة لمحافظة الأنبار، وكذلك فتح تحقيق في الخروقات الأمنية التي وقعت خلال الفترة الماضية وإيقاف الاعتقالات والمداهمات العشوائية التي طالت رموز وشيوخ عشائر الأنبار وشخصيات كان لها مواقف ضد تنظيم القاعدة.

أما على الجانب الشيعي: فقد أقام رئيس مجلس محافظة كربلاء مسيرة استعراضية في شوارع كربلاء للمقبوض عليهم، وهم مكبلون في السيارات التي اختطفتهم من الأنبار، في مشاهد استعراضية لا تخلو من روح الانتقام والتأجيج الطائفي! حيث كانت الميكروفونات المنصوبة على عجلات المحافظة تصرخ: (جبناهم.. هذولة البعثية.. هذولة الوهابية الإرهابية).

وقد صرح النائب عن كتلة الأحرار التابعة للتيار الصدري جواد الحسناوي أن «التصعيد الأمني الأخير في البلاد مدروس ومخطط له من قبل دول إقليمية وعربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة تنفذه أياد عراقية»، وصدحت جرائد الشيعة بالعناوين الآتية:

– مجزرة النخيب تؤكد أهمية استرداد النخيب لكربلاء للأمن الشيعي بالعراق.

(*) باحث عراقي.

- لا بـد للـشيعة مـن اسـتعادة النخيـب (باديـة كـربلاء) بكـل الوسائل، حتى العسكرية منها لحماية أمنهم.

- النخيـب (قـدس شـيعة العـراق) وكركـوكهم وضرورتهـا الاستراتيجية، للأمن الشيعي بالعراق.

وقد حاول رئيس الوزراء نوري المالكي توجيه خطاب ترضية لأهالي الأنبار قال فيه: «لن أتسامح في إهانة الأنبار وأي مدينة عراقية أخرى ولكـن أقول للـذين أرسلوا الرسائل لإثارة الفتنة من موقع المسؤولية أين كنتم حين كانت الأنبار تعج بالقتل والـدمار»، وأعلـن أنـه قـرر إجـراء تحقيـق لمحاسـبة المقـصرين بالحادثـة وإعـادة النظـر بـالخطط الأمنية عـلى الطـرق الخارجيـة، وتقرر نقل المعتقلين من المشتبه بهم من كربلاء إلى بغداد.

هـذه الحادثـة ومـا نـتج عنهـا مـن تـصريحات وتعليقـات ومواقـف، تحتـاج لقـراءة دقيقـة لفهمهـا ومعرفـة أبعادهـا ونتائجها المستقبلية، وفيما يلي قراءة لبعض الجوانب حولها:

*** لا يـزال تنظـيم القاعـدة يـسرح ويمـرح في العـراق،** وبالتحديد في المناطق السنية وليس هذا دليل على قوته بل بسبب وجـود دعـم ثابت مـن إيران ومـن بعـض الجهـات الحكوميـة، لأن مـن مـصلحة الأحـزاب الدينيـة الـشيعية بقـاء القاعـدة وعملياتهـا كمـبرر لإدانـة وتهمـيش وإقـصاء الـسنة وإبقـاء منـاطق الـسنة قلقـة وغير مسيطر عليهـا ما يبرر تـدخل الجيش والأمـن، وهمـا شيعيان بامتياز، في مناطق السنة، ومعلوم أن تنظيم القاعدة موطنه الأصيل هـو سوريا التي تعتبر رئته على العالم ونقطة الـدخول والخـروج كما أن غالب مواقعه الإلكترونية تتواجد في سوريا وباتت معروفة للجميع.

*** من جانـب آخـر فـإن للقاعـدة وإيـران قاسـماً مـشتركاً في العـراق ألا وهـو إثـارة الفـتن الطائفيـة وضرب المنـاطق الـسنية والـشيعية،** لأن فلـسفة القاعـدة قائمـة عـلى فـن إدارة التـوحش والعنف كوسيلة للتغيير، وهذا يتناسب مع المصالح الإيرانية في خطف العراق من أمريكا، عبر قدرتها على إثارة الفوضى بالعراق وفي كل مكان كلبنان والبحرين واليمن وغيرها.

إذن ثمة قاسم مشترك بين القاعدة وإيران وهـو ألا تـستقر أرض العراق بعامة ومناطق السنة بخاصة، وهذا التعاون أصبح حقيقـة معلنـة كـما في بيـان الجيش الإسـلامي (١٦/ ٨/ ٢٠١١)، والـذي اتهـم حكومـة المـالكي بـالتواطؤ مـع القاعـدة: (بالنـسبة للقاعـدة فهـم أعلـم النـاس بمـداخلها ومخارجهـا ومساربها، وهـم شركاؤهـا في عملياتهـا ضـد أهـل الـسنة، وقـد افتـضحت صـلاتها لـيس في الخـارج فحـسب، وإنـما بحكومـة المـالكي نفـسها عنـدما قام بتهريب بعض سجنائها إلى إيران).

نستنتج من هذا أن عملية قتل الشيعة في النخيب وراؤها مخطط لتـصعيد الأوضـاع للحـصول عـلى مكاسـب سياسـية شيعية في محافظة الأنبار السنية، مثلها مثل عملية تفجير القبتين في سامراء سنة ٢٠٠٦، ومحاولات تفجير قبة علي بن أبي طالب في النجف، فهذه الحوادث ما هي إلا مخططات تلعب بها إيران والقاعدة لجعل العراق غير مستقر، ومسيطر عليه من قبل إيران وحـدها، وهـي رسـالة لأمريكـا أن شـأن العـراق بيد إيـران، وإيـران تعنـي (حـزب الـدعوة، المجلـس الأعـلى، التيـار الـصدري، تنظـيم القاعدة) ومعلوم أن الجنرال قاسم سليماني، قائد قوات القدس الإيرانيـة، هـو مـن يـدير الملـف الـشيعي عـلى سـبيل الخـصوص والملف العراقي بصورة عامة.

*** سلوك الشيعة المتكرر في الثأر والانتقام حالة متكررة وظاهرة شيعية عراقية لأن أهل الجنوب بصورة عامة هذه هي عـادتهم،** فـروح التـشفي والانتقـام موجـودة عنـد العـشائر أصـلا، ومع دخول التشيع لهـم زاد الأمر فيهم، وها هـي حادثة النخيب تثبت ذلك؛ فقد ذهبت قوة عسكرية ثأرية كأن البلد دون قانون – وهو كذلك– لتنفذ على طريقة الثأر القديم جلب أشخاص معينين ومـن ثـم الطـواف بهـم لتعطـي لأهـالي كـربلاء روح التـشفي مـع أهازيج وأفراح، لنعلن للعالم أجمع أن هذه هي ديمقراطية الشيعة الجدد، وهل أمثال هؤلاء تقوم بهم دولة؟

*** التعليقـات التـي خرجـت مـن المؤسـسات والمـسؤولين الشيعة كشفت أن الحادثة وراءها ما وراءها،** فمباشرة خرجت

التصريحات بضم النخيب إلى كربلاء ونزعها من الأنبار[1]، ولن تهدأ إيران إلا إذا تمكنت من الوصول للحدود السعودية والأردن وقبلهما الأنبار من خلال ضم منطقة النخيب لمحافظة كربلاء، والتي إن نجحت في مخططها فسيكون لإيران تماس مباشر مع هذه الدول من خلال محافظات شيعية عراقية مسيطر عليها تماماً من قبل إيران، فهل يدرك أهل الأنبار والسعوديون والأردنيون أبعاد المخطط الإيراني؟؟

*** هذه الحادثة سيحاول المالكي أن يجعلها سببا أو مدخلا لتكوين قوات شيعية على الحدود العراقية**، وعلى الطرق الخارجية، ومن ثم إزعاج الأنبار كمحافظة والتدخل التدريجي بشؤونها، علماً أن أغلب الحدود العراقية من جهة الأردن (طريبيل) والحدود مع سوريا (معبر القائم)، وحدوده مع السعودية (عرعر) زجت فيها الكثير من القيادات الأمنية الشيعية، وعلى قيادات الأنبار الانتباه لهذا، لاسيما والمالكي دائما يحاول شراء ذمم بعض السنة من خلال الظهور بمظهر المعتدل، وخطة المالكي في الانتخابات الجديدة يتوقف الفوز بها على حزب الدعوة وبعض النخب السنية لذلك يحاول شراء بعض السنة من أجل إسقاط القائمة العراقية[2].

*** الثورة العارمة التي تجري داخل سوريا لها صلة بما يجري في العراق**، فسوريا تحاول فك الضغط الدولي عليها من خلال إثارة أحداث تصرف الأنظار عنها، مثل حادثة الهجوم على الباصات الإسرائيلية في سيناء والتي تجاوزتها إسرائيل نفسها!! وسوريا لولا انشغالها بالوضع الداخلي لعملت بشكل واضح لاستقطاب نخب الأنبار لصالح إيران.

*** كان لمواقف بعض نخب الأنبار الجيدة والتهديدات بالدفاع عن حقوقهم وعدم الخنوع للحكومة العراقية دور مؤثر في إفشال المخطط**، كما كان موقف قناة الشرقية الفضائية موقفاً جيداً أيا كانت منطلقاته، وليعلم العراق سنة وشيعة أن هذه الحكومة لا تعترف إلا بالقوي، ولذلك كان لتهديدات أبي ريشة وعلي الحاتم وغيرهما تأثير جلي على مسار الأحداث، وعلى الحزب الإسلامي أن يتعلم أنه لن يُحترم من قبل العراقيين ما لم يترك سياسة التقية مع الشيعة والخوف ومسك العصا من الوسط فالشيعي لا يحترم إلا القوي.

*** يجب على أهل السنة عدم جلد ذاتهم وذم قياداتهم والتقليل من شأنهم - وإن كان لهم سلبيات -** فإن أهالي ونخب الأنبار يعول عليهم كثيراً لو أحسنوا التوحد ونبذ الخلاف، فقد دوخوا المحتل الأمريكي من قبل، ومجيء رئيس جديد لمجلس المحافظة (مأمون سامي العلواني) والمتميز بقوة شخصيته ورجاحة عقله لعلها فاتحة خير لأهالي الأنبار، كما أن مواقف النائب في البرلمان خالد العلواني وشجاعته كانت محمودة ومشكورة، ومن قبل كان الشيخ خالد الفهداوي –رحمه الله– والذي اغتالته يد الإثم السورية على يد ربيبتها القاعدة، وليعلم أهل العراق السنة أن لديهم رجالا فيهم خير وفير إذا انتبهوا إلى عدوهم الأول: إيران، ومن يدور في فلكها من الأحزاب الشيعية الدينية.

*** المالكي سياسي يعيش على إثارة الطائفية بين الفينة والأخرى فها هو في ١/ ٤/ ٢٠١١** يصرح أن شيعة تلعفر يتعرضون للقتل من قبل أهالي الموصل ليمهد للتدخل فيها؛ فينادي بإعمار مدينة تلعفر وبناء جامعة، وإصلاح الكهرباء والماء، فهو يختلق مشكلة ويبرر التدخل وهكذا يعمل في الأنبار، تفتعل القاعدة المشاكل - لوجود مصالح مشتركة مع إيران- مما يعطي المبررات للحكومة العراقية للتدخل.

فلماذا تعجز الحكومة وعندها قرابة مليون رجل أمن وكلهم شيعة ومدججون بالسلاح من السيطرة على القاعدة؟

---

(١) انظر مقالنا في مجلة الراصد العدد ٩٤: «التمدد الإيراني نحو الحدود السعودية والأردنية (منطقة النخيب)».

(٢) ومن المؤسف أن سلوك قيادات القائمة العراقية مخيب لآمال السنة ولكن ليومنا هذا لا يوجد بديل، وبقاء المالكي كدكتاتور شيعي أمر المراهنة عليه ضرب من الانتحار السياسي.

بينما بضعة رجال من الصحوات أخرسوا القاعدة بسلاحهم البسيط؟ ولماذا لا يزال يسهل الهروب من السجون لا سيما لرجال القاعدة؟ ولماذا عندما أخرج مقتدى الصدر مظاهرة لشكر المالكي، هُرّب أتباع التيار الصدري من سجون الأمن العامة في البلديات في بغداد قبل أيام؟

إيران تعلم أن الأنبار شوكة في حلقها، تمنع وصولها بحدودها إلى السعودية والأردن، فتعمد دائما لبقاء الأنبار قلقة أمنيا وبعيدة عن الإعمار والتحضر، وأن الهدوء والاستقرار هو من صالح السنة وليس الشيعة! قال تعالى في محكم التنزيل: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص ٨٣).

قراءة في معتقد الخميني من ديوانه (٣)
الزرادشتية وأثرها في معتقد الخميني

د. عبد الله عمر الخطيب[*] – خاص بالراصد

تستمد أدبيات المذهب الشيعي كثيرا من موروثات المعتقدات الدينية التي عُرفت في بلاد فارس قبل الإسلام، وتبني عليها طقوسا دينية وأيديولوجيات مذهبية غدت مع الأيام جزءا من المنظومة الفكرية وجزءا من حضارة الشيعة على اختلاف مذاهبهم ومسمياتهم، فاستلهموا الموروث الأسطوري؛ والمحمولات الثقافية؛ وما ترسخ في العقل الجماعي الفارسي؛ وأسسوا من خلاله دينهم ومعتقدهم الذي يبثونه في كتبهم العقدية، وكتب التفسير والحديث، حتى وصل الأمر – ما نحن بصدده – في دواوينهم الشعرية وفنون الأدب الأخرى.

والخميني وهو يتبنى هذه الأيديولوجية لم يستطع الحيادية، والتستر عما يكتنفه من معتقدات فضمن الكثير من الأساطير الفارسية التي عرفت عند الزرادشتية في شعره، وسأتحدث هنا عن بعضها، مبينا ما شابه المعتقد عند الزرادشتية والخميني.

أولاً: النور

يعتقد معتنقو المذهب الزرادشتي أن زرادشت مخلوق من نور الإله الذي انتقل إلى السماء السادسة وإلى الشمس والقمر وإلى النجوم ثم استقر في النار، ثم إلى بيت النار المقدسة التي يُقدسها الفرس بوصفها رمزا للنور الإلهي وليست معبودة في ذاتها، ثم إلى رحم زوجة صاحب بيت النار أو القائم عليه، التي كانت حاملاً في فتاه هي أم زرادشت، وعندما وُلدت كانت تشع نوراً، ثم تزوجت الفتاة وأنجبت زرادشت الذي أتى يتكلم في المهد، ويبشر بالإله، ويشع نوراً ومعرفة أينما ذهب.

فكان هو المعلم المكلم لأهورامزدا المبشر بالعدل السماوي، أي أن فكرة النور هي الأساس في المذهب الزرادشتي، وإذا اتجهنا للتشيع، نلاحظ أن كتب الشيعة تحفل بمرويات تقارب جدا من هذه الفكرة في خلق محمد ﷺ وآل بيته، فروي أن محمداً (عليه الصلاة والسلام)، وعلياً وفاطمة، والحسن والحسين مخلوقون قبل الوجود بأكمله، وأن نور العرش من نور محمد، ونور الملائكة من نور علي، ونور السماوات والأرض من نور فاطمة، ونور القمر، من الحسن، ونور الجنة وحور العين من نور الحسين، أي أن الوجود مخلوق من نور الخمسة الرئيسيين في المذهب الشيعي، كما ورد أن أول خلق الله كان الأربعة عشر معصوماً (الإثنا عشر إماماً وفاطمة والنبي)، فكانوا نوراً يفيض من الله.

وورد في أدبيات الشيعة ومروياتهم ما يعزز هذه الفكرة المكذوبة عن النبي ﷺ ومن ذلك: «عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام، حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار، فقال العباس: فكيف بدأ خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم: لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا، ثم تكلم بكلمة

---

[*] باحث أردني متخصص في مناهج النقد الأدبي.

أخرى فخلق منها روحا، ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين».

هذا المعتقد الشيعي هو في الأساس فكرة زرادشتية فيما يتعلق في النور استلهمها الخميني وضمنها شعره، وبنى عليها عقيدته، يقول الخميني في ديوانه ص ٢١٣:

ولا عجب لهذا الممكن لأن نوره من الزهراء
التي نورها من علي ونوره من الرسول
ونــــور الله في الرســــــول الأكرم ظاهر
وتجلـى نوره على علي الحيدر القائد
وشع منه على حضرة الزهــــــــــــراء
ثم ظهر من ابنـــه موسى بن جعفر
هو ذاك النور الذي خلقته مشيئة كـــــن
وهو العالـم الـــــذي ينير العالم
ذاك النور هو النور الذي من تجلي القدرة
أضفى على آنسات الوجود زينة وبهاء
ولو علم الشيطان بهذا النور ما قال عن آدم
إنه من تراب وهو من طين وهو من نار
شرف الممكنات كلها من هذا النـــــور
وإلا لبطلـــــت عـــــن بكرة أبيها

ويقول في موضع آخر ص ٢٣٧:

هو مصدر الأفلاك الثمانية جميعا ومبدأ النجوم السبعة كلها
خالق الجهات الست ونور قلب المصادر الخمسة

وقد تحدثنا في حلقة سابقة عن هذه الأبيات وبيّنا أن المصادر الخمسة عند الشيعة هي: «الرسول ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين».

ثانيا : الشمس

من العناصر المقدسة في الديانة الزرادشتية: الشمس، فهي رمز الضياء وهي المنوطة بتطهير الكون من الدنس الشيطاني، وهي المنوطة برعاية النور المقدس في أجساد البشر وسوف تستعيده منهم في نهاية الكون، ومن علامات نهاية الكون في الزرادشتية انكساف الشمس، والعودة إلى حالة الظلمة الأبدية، بوصف أن الضياء هو رمز الوجود.

وفي الحكايات المذهبية، ورد أن الأئمة عندما يموتون يصعدون للشمس، وأن الشمس كُسفت يوم مقتل الحسين دليل على زوال الوجود من العالم وتحوله لعدم بموته، بل أن النور قد تصاعد من جسد الحسين بعد موته وصولاً للسماء أي عودة النور لأصله السماوي المقدس كما الزرادشتية، كما أن الشمس قد توقفت لعلي حتى يُتم صلاته، بل أنها سوف تشتعل ناراً يوم مجيء المهدي، فنلاحظ التشابه في استخدام الرموز المقدسة في كلا السياقين فكلاهما قد وحد بين الضياء والقداسة، والظلمة والعدم.

يقول الخميني في قصيدة بعنوان: «قصيدة الانتظار الربيعية» ص ٢١٨:

هو المهدي المنتظر، حفيد خير البشر
والخلق في الدنيا والآخرة عن بكرة أبيهم عالة على مائدة إحسانه
الشمس ذرّة من ضيائه والبدر بذرة من عطائه
والبحر قطرة من جوده والفلك يجني الثمر من زرعه

ويقول في موضع آخر مادحا المهدي في قصيدة بعنوان: «في مدح ولي العصر عجل الله عودته» ص ٢٢٧:

هو الجميل الذي ستر وجهه عن عاشقيه منذ الأزل

واعتلى ظهر الشمس فصار مشهودا عيانا

نشأت من ضيائه ذرة فغدت شمس الفلك

وصار نقير من عطائه بدر السماء

ولأجل تقبيل قدومه حضر الأنبياء

وانحنى لتعظيمه الفلك ساجدا

وللشمس والنار عند الزرادشتية قصة وللشيعة قصة مشابهة لعلي إن شاء الله أعرضها في موضوع آخر.

ثالثا : الأعياد

من أهم الممارسات الإيرانية التي تشير إلى هذه الفكرة، عيد النيروز، وهو العيد القومي الإيراني الذي يُحتفل به للآن يوم ٢١ مارس/ آذار، وهو بداية السنة والتقويم الإيراني وله طقوسه الخاصة، وهو يوم عطلة رسمية في إيران ومساو لعيد شم النسيم المصري على اختلاف التوقيت، فهو عيد الربيع وبداية الكون في الفكر الزرادشتي، وهو عيد نصرة إله النور على الشيطان العدمي المظلم ويوم اكتمال نور الشمس، وبداية الحياة من جديد بعد تخريب أهريمن لها، وفي مرحلة تالية أصبح هذا العيد مرتبطا بأحد ملوك الفرس الأسطوريين وهو (جمشيد) الذي أوكل له الإله بناء العالم بعد خرابه فاكتمل بناؤه في هذا اليوم فأصبح عيداً.

اما المذهب الشيعي فيورد ما يدلل على فضل هذا اليوم وعظمته وبركته، ومن ذلك: ما رواه أحمد بن علي المونسي القمي، عن معلى بن خنيس، قال: «دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يوم النيروز، فقال عليه السلام: أتعرف هذا اليوم؟ قلت: جعلت فداك، هذا يوم تعظمه العجم وتتهادى فيه. فقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: والبيت العتيق الذي بمكة ما هذا إلا لأمر قديم أفسره لك حتى تفهمه. قلت: يا سيدي! إن علم هذا من عندك أحب إلي من أن يعيش أمواتي وتموت أعدائي! فقال: يا معلي! إن يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه مواثيق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وأن يؤمنوا برسله وحججه، وأن يؤمنوا بالأئمة عليهم السلام وهو أول يوم طلعت فيه الشمس، وهبت به الرياح، وخلقت فيه زهرة الأرض. وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وهو اليوم الذي أحيى الله فيه الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم.

وهو اليوم الذي نزل فيه جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي حمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام على منكبه حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشمها، وكذلك إبراهيم عليه السلام، وهو اليوم الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه أن يبايعوا عليا عليه السلام بإمرة المؤمنين، وهو اليوم الذي وجه النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام إلى وادي الجن يأخذ عليهم البيعة له، وهو اليوم الذي بويع لأمير المؤمنين عليه السلام فيه البيعة الثانية، وهو اليوم الذي ظفر فيه بأهل النهروان وقتل ذا الثدية، وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا وولاة الأمر، وهو اليوم الذي يظفر فيه قائمنا بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة، وما من يوم نيروز إلا ونحن نتوقع فيه الفرج، لأنه من أيامنا وأيام شيعتنا، حفظته العجم وضيعتموه أنتم».

يقول الخميني مضمنا هذه الدلالة ومفردا عنوانا خاصا في أولى قصائد الديوان الموسومة بعنوان «عيد النيروز»:

تماوجت رياح النيروز على السهل والجبل واكتسى الناس من الكبير والصغير حلة الربيع

ولم يك لبلبل رياض الجنان طريق إلى حبيبه

فغدوت أفخر بمطرب المجلس ذاك مرشدنا

الكافة تولي وجهها في هذا العيد شطر السهول والرياض

وأنا السكران أنّى لي أن أولي وجهي من الحانة إلى الله؟

هنيئا للغني والفقير بعيد النيروز

فافتح لي يا رفيقي المحبوب بابا من معبد حسنك

ويقول في قصيدة أخرى ص ٢٢٦:

متى وقعت أبصار أهل إيران على مثل هذا الربيع السعيد

فقد تخيل (النيروز القديم) من جديد الربيع الغض الشباب

حلت ذكرى غدير (خم) بحشمة وعظمة سليمانية

حتى توجت هامتي بميلاد هذا المليك بتاج الملوك

ومن المقطوعة السابقة نلاحظ تسربا واضحا لبعض المفاهيم القومية الإيرانية إلى المذهب، فتمازج الموروث الأسطوري مع العقدي في بوتقة واحدة وأنتجا دينا لا يدرى كيف يبني مفاهيمه على أوهام وخرافات.

مما سبق يمكن أن نلحظ بوضوح أن المفاهيم المقدسة قد توحدت في العقلية الإيرانية مسقطة التتابع التاريخي الذي أنتج الأسطورة التي كانت دينا قديما وبين التشيع الإسلامي الذي غدا أسطورة حديثة[1].

موسوعة مصطلحات الشيعة (١٥)
(حرفا الطاء والظاء)

هيثم الكسواني(*) – خاص بالراصد

الطاغوت

وردت في اللغة معان عديدة لكلمة طاغوت، وقد ذكر ابن منظور في «لسان العرب» من معانيها: «ما عُبِدَ من دون الله عز وجل، وكلُّ رأسٍ في الضلالِ». وقد أطلق الشيعة تسمية «الجبت والطاغوت» على صاحبي رسول الله، ﷺ، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ولشيخ الشيعة علي الكركي، الملقب عندهم بالمحقق الثاني، كتاب بعنوان «نفحات اللاّهوت في لعن الجبت والطاغوت».

كما أطلق الشيعة هذا الوصف على حكام المسلمين وقضاتهم، لعدم إيمانهم بالإمامة الشيعية، وقد جاء في كتاب الكافي للكليني عن عمر بن حنظلة قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً، وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠].

الطالبيون

أبناء أبي طالب بن عبد المطلب وذريّاتهم. وقد كان لأبي طالب، عم النبي ﷺ، أربعة من الولد هم: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي. ولأن أبا طالب هو والد علي، رضي الله عنه، والذي هو عند الشيعة أول الأئمة المعصومين، فقد جاءت رواياتهم لتؤكد إيمانه، وتلقبه بمؤمن قريش، وأنه من الأوصياء، وأن نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي ﷺ، والأئمة، وفاطمة. وقد وصل الأمر ببعضهم إلى اعتباره نبيا، وقد ألف أحد شيوخهم، وهو مزمل حسين الميثمي الغديري كتابا بعنوان: «نبوة أبي طالب».

وقد شارك الطالبيون أبناء عمومتهم العباسيين في التخطيط للقضاء على الدولة الأموية، وإقامة دولة مكانها تنتسب إلى أهل البيت، لكن العباسيين استأثروا بالحكم بعد القضاء على الأمويين في سنة ١٣٢ هـ، ما جعل الهاشميين يشنون الحروب والثورات على العباسيين.

يقول الأستاذ محمود شاكر في حديثه عن الدولة العباسية ضمن سلسلته «التاريخ الإسلامي»: «وما ظنّ أبناء عليٍّ إلاّ أن لهم في الدعوة نصيباً، فلما قام العباسيون بالأمر، واستأثروا بالحكم، وقف شيعة أبناء علي موقفا معاديا للعباسيين، وقاموا يعملون ضدهم، فمن جانب ثاروا ضدهم، واستمرت حركاتهم، ومن جانب آخر اتهموهم بالظلم، ورموهم بالمفاسد، وأوجدوا الدعايات ضدهم،.. وبالمقابل فقد لاحق العباسيون خصومهم

---

(١) أفدت في هذه المقالة من مقالة سابقة للأستاذ أحمد لاشين كتبها حول الزرادشتية والتشيع.

(*) باحث أردني.

السياسيين من شيعة أبناء علي، وشددوا عليهم واضطهدوهم، ونكّلوا بزعماء ثوراتهم كي يلقوا بينهم الرعب، وأحيانا حاولوا استرضاء بعضهما تقاء وخوفا من حركاتهم..».

الطالقانية

من فرق الشيعة الزيدية التي شاركت الإثنى عشرية في دعوى غيبة محمد بن القاسم، الذي خرج بالطالقان في أيام خلافة المعتصم العباسي، ولم يصدق أتباعه بموته.

يقول ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» في أحداث سنة ٢١٩هـ: «فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضى من آل محمد، واجتمع عليه خلق كثير. وقاتله قواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة، ثم ظهروا عليه وهرب فأُخذ.

ثم بُعث به إلى عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المعتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر، فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين، فمكث فيه ثلاثا، ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه، فلم يزل محبوسا هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد، فدلي له حبل من كوة كان يأتيه الضوء منها، فذهب فلم يدر كيف ذهب وإلى أين صار من الأرض».

الطريق الثالث (لبنان)

تمكن حزب الله الشيعي اللبناني وحركة أمل من احتكار تمثيل الشيعة في لبنان لسنوات طويلة، وقاما بربط مصير الطائفة بإيران وسوريا وأطماعهما الإقليمية، ما أدى إلى بروز عدة مواقف شيعية في الآونة الأخيرة ترفض احتكارية أمل وحزب الله لقرار الطائفة، وتحاول أن تشقّ طريقا ثالثا بينهما، ومنها: «اللقاء الشيعي اللبناني» الذي تأسس سنة ٢٠٠٥م، من قبل ٥٠٠ شخصية شيعية برئاسة الشخصية الدينية الشيعية البارزة: محمد حسن الأمين.

الطّف

تطلق واقعة الطف على معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما على أرض العراق، في العاشر من محرم سنة ٦١هـ، على يد الجيش الأموي. وفي «لسان العرب» لابن منظور: «والطّفُّ ما أَشْرَفَ من أَرض العرب على رِيف العراق، مشتق من ذلك.. والطّفُّ اسم موضع بناحية الكوفة».

الطلائع الرساليون

تعرف حركة الطلائع الرساليين أيضا باسم: الحركة الرسالية، وهي حركة شيعية تأسست في العراق سنة ١٩٦٨م، على يد المرجع الشيعي محمد الشيرازي (١٩٢٨ – ٢٠٠١م) ثم توسعت لتشمل دول الخليج العربي أيضا، وتضم تحت لوائها الحركات الشيعية التابعة لمرجعية الشيرازي. وظلت هذه الحركة في إطار تنظيم سري، ولم يعلن عن فروعها إلا بعد انتصار الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م.

الطينة

تتلخص عقيدة «الطينة» عند الشيعة الإثنى عشرية بأن الشيعي خُلق من طينة خاصة، وخلق السُّني من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فلذلك فإن ما يرتكبه الشيعي من معاصٍ وجرائم ناتج عن تأثره بطينة السني، وما في السني من صلاح وأمانة هو بسبب تأثره بطينة الشيعي، فإذا كان يوم القيامة فإن سيئات وموبقات الشيعة توضع على أهل السنة، وحسنات أهل السنة تعطى للشيعة.

ويبين الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن هذه المقالة كانت موضع إنكار من بعض عقلاء الشيعة المتقدمين كالمرتضى وابن إدريس، لكن هذه الأخبار تكاثرت على مر الزمن، حتى قال شيخهم نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ): «إن أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثرة في الأصول وغيرها، فلم يبق مجال في إنكارها..».

ويذهب د. القفاري إلى أن القول بهذه العقيدة أملاه واقع الشيعة المليء بالمعاصي والموبقات بالمقارنة بواقع سلف هذه الأمة، وأئمة أهل السنة ومعظم عامتهم من تقى وأمانة وصلاح،

كما أكدت على ذلك روايات الشيعة أنفسهم، ففي أحدها (كما في علل الشرائع لابن بابويه القمي وبحار الأنوار للمجلسي) أن سائلاً يدعى إسحاق القمي يقول لأبي جعفر الباقر: «جُعلت فداك أرى المؤمن الموحِّد الذي يقول بقولي، ويدين الله بولايتكم، وليس بيني وبينه خلاف، يشرب السكر، ويزني، ويلوط، وآتيه في حاجة واحدة فأصيبه معبس الوجه، كالح اللون، ثقيلاً في حاجتي، بطيئاً فيها، وقد أرى الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك (أي يعرف أنه شيعي)، فآتيه في حاجة، فأصيبه طلق الوجه، حسن البشر، متسرعاً في حاجتي، فرحاً بها، يحب قضاءها، كثير الصلاة، كثير الصوم، كثير الصدقة، يؤدي الزكاة، ويُستودع فيؤدي الأمانة».

وفي بحار الأنوار وغيره أن بعض الشيعة شكا إلى أبي عبد الله سلوك الشيعة، فقال: «أرى الرجل من أصحابنا ممن يقول بقولنا خبيث اللسان، خبيث الخلطة، قليل الوفاء بالميعاد فيغمّني غمّاً شديداً، وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمت، حسن الهدي، وفياً بالميعاد فأغتم غمّاً».

يقول د. القفاري: «وقد احتال شيوخ الشيعة لمواجهة هذا الإحساس الذي ينتاب بعض الصادقين من الشيعة، إزاء هذه الظواهر المقلقة والمخيفة فكانت محاولة الخروج من إلحاح هذه التساؤلات والشكاوى بقولهم بهذه العقيدة».

وقد وضع الشيعة الكثير من الروايات في تأييد هذه العقيدة وشرحها، منها ما نسبوه إلى الباقر (كما في علل الشرائع وبحار الأنوار) أنه قال: «إن الله عز وجل لمّا كان متفرداً بالوحدانية ابتدأ الأشياء لا من شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيام مع لياليها، ثم نضب الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين وهي طينتنا أهل البيت، ثم قبض قبضة من أسفل ذلك الطين وهي طينة شيعتنا، ثم اصطفانا لنفسه، فلو أن طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم، وسرق، ولا لاط، ولا شرب المسكر، ولا اكتسب شيئاً مما ذكرت، ولكن الله عز وجل أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيام ولياليها ثم نضب الماء عنها، ثم قبض قبضته، وهي طينة ملعونة من حمأ مسنون، وهي طينة خبال (أي فساد ونقصان) وهي طينة أعدائنا.

فلو أن الله عز وجل ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميين، ولم يقروا بالشهادتين، ولم يصوموا، ولم يصلوا، ولم يزكوا، ولم يحجوا البيت، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق، ولكن الله تبارك وتعالى جمع الطينتين (طينتكم وطينتهم) فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ومزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شر لفظ، أو زنا، أو شيء مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره، ليس من جوهريته وليس من إيمانه، إنما بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت، وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق، أو صوم، أو صلاة، أو حج بيت، أو صدقة، أو معروف فليس من جوهريته، إنما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها».

ثم تمضي الرواية، وفيها أنه إذا كان يوم القيامة تؤخذ حسنات أهل السنة فترد إلى الشيعة، وتؤخذ سيئات الشيعة فترد إلى السنة.

(ظ)

الظهور

يعتقد الشيعة أن الأئمة يظهرون بعد موتهم لبعض الناس ثم يعودون لقبورهم، ويبين الدكتور ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» أن هذه العقيدة تختلف عن عقيدة رجعة الأئمة، فالظهور غير مرتبط بوقت معين كالرجعة، بل هو خاضع لإرادة الأئمة.

وتزعم روايات الشيعة (كما في بحار الأنوار، وبصائر الدرجات) أن الرضا كان يقابل أباه الكاظم بعد موته، ويتلقى وصاياه وأقواله، وأن شخصا دخل على أبي الحسن الرضا، فقال له الرضا: أتحب أن ترى أبا عبد الله (أي الصادق)؟ قال: وددت والله، فقال أبو الحسن: قم وادخل ذلك البيت، يقول: فدخلتُ البيتَ فإذا أبو عبد الله عليه السلام قاعد.

وتدعي بعض رواياتهم أن الرسول ﷺ ظهر بعد موته ليأمر أبا بكر بطاعة علي، وأن أبا بكر وعمر يظهران للأئمة في كل موسم

حج حتى يرموهما بالحجارة أثناء رمي الجمرات.

ظهور المهدي

احتـل التبـشير بقـرب عـودة المهـدي المنتظـر، وضرورة الاستعداد لظهوره مساحةً كبيرة في الفكر الشيعي، وفي كتابه «أنـت الآن في عـصر الظهـور» يجمـع فـارس فقيـه مـا تنـاثر مـن روايـات الـشيعة حـول عـودة المهـدي، ويقـوم بربطهـا بـبعض الأحداث المعاصرة التي اعتبرها ممهّدة لظهور المهدي. وأهم هذه العلامات بحسب روايات الشيعة:

١– اجـتماع اليهـود في أرض فلـسطين، والـزعم بـأن مهـدي الـشيعة هـو الـذي سـيقود المعركـة الفاصـلة التـي ستقـضي عـلى اليهود.

٢– خـروج رجـل مـن قُـم بإيران (الخمينـي) يـدعو النـاس إلى الحق.

٣– بروز قوة عسكرية وإعلامية ممهّدة للظهور، وتتمثل في الحرس الثوري في إيران، وجيش المهدي في العراق، وحزب الله في لبنان.

٤– تأسـيس الجمهوريـة الإيرانيـة عـلى يـد الخمينـي سـنة ١٩٧٩م.

٥– قيـام أصــحاب العمائــم الــسود، أي مراجــع الــشيعة وزعمائهم، بقتال أعداء المهدي، وأن هؤلاء المراجع سيكون لهم دور سياسي كبير في العالم الإسلامي يزعج الشرق والغرب.

٦– حزب يقاتل على أبواب بيت المقدس، وعنى به مؤلف الكتـاب حـزب الله الـشيعي اللبنـاني، بيـنما أغفـل تمامـا حركـات المقاومة الفلسطينية.

٧– دخول قوات غربية إلى العراق، ومردّ ذلك رواية تقول: «ورود خيل من قبل الغرب حتى تربط بفناء الحيرة..».

٨– استشهاد نفس زكية في مدينة النجف بالعراق مع ٧٠ من الصالحين، وعنى به محمد باقر الحكيم الذي اغتيل في النجف، بعد خروجه من مقام الإمام علي في سنة ٢٠٠٣م.

٩– انتقال العلم من النجف إلى قم، وعزا المؤلف ذلك إلى اضـطهاد الـرئيس العراقـي الـسابق صـدام حـسين لعلـماء الـشيعة، وطرْد بعضهم من العراق، ولجوئهم إلى قم بإيران.

١٠– خـروج ناصـبي تكفـيري يقتـل زوار المقامـات الـشيعية، وقصد به أبا مصعب الزرقاوي.

١١– قيام حكم في العراق موالٍ للإيرانيين الممهّدين لظهور المهـدي، وهـو مـا يعيشه العـراق في هـذه الأيـام، منـذ الاحـتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣م، حيث صار لإيران سيطرة واضحة على العراق، وتواجد وخاصة في الجنوب.

١٢– موت الملك عبد الله بن عبد العزيز، ملك السعودية، وفق رواية منسوبة إلى الإمام الصادق تقول: «من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم (أي ظهور المهدي).

١٣– ظهور الأوبئة والزلازل والأعاصير.

١٤– دخول مذنب إلى مدار الأرض فيغير كل الطبيعة الفلكية على الأرض.

١٥– ظهـور الخراسـاني، وهـو عنـد الـشيعة: الـشخص الـذي يسلم الراية إلى المهدي عند ظهوره المزعوم، ويكون حينها أعلى منـصب عنـد أهـل إيـران (خراسـان). ويـذكر الكتـاب أن صـفات الخراساني تتطابق مع مرشد الثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي، ومنها أنه من آل البيت، ومن خراسان، وصبيح الوجه، وفي خدّه الأيمن خال (شامة)، وفي يده اليمنى ضعف إثر تعرضه لمحاولة اغتيال، إضافة إلى أنه صاحب أعلى منصب في إيران.

١٦– انطبـاق مواصـفات شـعيب بـن صـالح عـلى الـرئيس الإيراني الحالي محمود أحمدي نجاد، الملقب بالشعبي الصالح مردوميار. وشعيب بن صالح عند الشيعة هو الذي يكون على مقدمـة جـيش المهـدي، أي قائـد قواتـه. ومواصـفاته (المنطبقـة بحسب الكتاب على نجاد): شاب أسمر، نحيل، خفيف اللحية، من أهل الري (طهران)، صاحب عزيمة، ورجل حرب.

١٧– انطباق مواصفات اليماني على حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله. وقد نسب الشيعة للصادق أنه قال: «وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية حق لأنه يدعو إلى

صاحبكم، فإذا خرج حرم بيع السلاح على الناس..».

١٨- السفياني وانقلاب دمشق: حيث يدّعي الكتاب أنه قبل ظهور مهدي الشيعة بستة أشهر، يقع انقلاب عسكري في سوريا، يأتي بقائد سوري عميل لأميركا وإسرائيل، لقبه السفياني، يبث نفوذه داخل سوريا والعراق والأردن ولبنان، وتدخل قواته إلى الحجاز لقمع ثورة في المدينة للشيعة، ثم يدخل العراق ليقتل الشيعة، ويدخل لبنان لقتال «المجاهدين» ويحاصرهم في جبل عامل لكنه يجد منهم الشدة والقوة. وفي أثناء حصار السفياني لجبل عامل وقتاله للشيعة في العراق، تبدأ أخبار ظهور الإمام.

١٩- الصيحة: حيث يزعم المؤلف أنه ينادي منادٍ من السماء أن الحق مع آل محمد ﷺ، وأن الصحية تكون في منتصف شهر رمضان.

٢٠- النفس الزكية: وبحسب المؤلف فإن المهدي لا يخرج حتى تقتل نفس زكية في الكعبة اسمه محمد ومن نسل الإمام الحسن، وتكون قبل الظهور بسنة أو في نفس سنة الظهور. يقول المؤلف عن الصيحة والنفس الزكية: «وتعتبر هاتان العلامتان من أواخر العلامات قبل الظهور، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض».

وبعد أن يسرد الكتاب ما اعتبره العلامات الممهّدة لظهور مهدي الشيعة، يكون الظهور في سنة وتر (أي واحد، ثلاثة، خمسة،...) من السنين الهجرية ويبدأ ليلة التاسع من محرم (ليلة عاشوراء) في مكة التي يبدأ مهمته بالسيطرة عليها هو وأتباعه ومعاونوه وعددهم ٣١٣، ولا تنتهي عملية الظهور «المقدس» حتى تمتلئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

التقارب التركي المصري..
هل يقطع الطريق على إيران؟

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

تعيش إيران في هذه المرحلة أزمة حقيقية نتيجة التطورات الجارية في المنطقة العربية، فبينما كانت تنتشي بسقوط النظامين التونسي والمصري ورأت فيه مكاسب استراتيجية مجانية أخرى تُهدى لها ببركات من المهدي المنتظر لوليها الفقيه على غرار سقوط العراق في أحضانها بعد الاحتلال الأمريكي له الذي أنهى الخصم التاريخي لنظام الملالي وأكثر من ذلك تربع عملاؤه من حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية على كرسي السلطة منفذين لسياسات المرشد الأعلى علي خامنئي، فاجأتها ثورة الشعب السوري ضد حليفها الاستراتيجي، وأربكتها داخليا وخارجيا ما جعل من تغطيتها الإعلامية للأحداث مصدراً لتندر الشعب الإيراني الذي يعاني من ظلم الملالي منذ ثلاثة عقود.

ومما زاد من تخبط النظام الإيراني واضطراب بوصلته: الدور التركي المتصاعد في المنطقة والتغيرات المفاجئة في سياسة أنقرة الخارجية، بداية بموقفها من الأزمة السورية مرورا بتأزم علاقاتها مع إسرائيل، وصولا إلى زيارة رئيس الوزراء التركي أردوغان إلى القاهرة وتونس وليبيا، وما رافقها من اتفاقات اقتصادية وتوافقات سياسية خاصة في الملفين السوري والفلسطيني، ما اعتبره الكثير من المتابعين والمحللين السياسيين مؤشرات على محور مصري تركي أو عربي تركي بدأ يتشكل خالطاً الكثير من الأوراق في المنطقة وفي مقدمتها المخططات الإيرانية، فهل نحن فعلا أمام محور عربي تركي بإمكانه الحد من النفوذ الإيراني في المنطقة؟

ملامح المحور التركي العربي الجديد

الحديث عن محور استراتيجي جديد جاء عقب التطورات المفاجئة في العلاقات التركية الإسرائيلية، ففي حين كانت أغلب التقديرات تشير إلى أن تقرير الأمم المتحدة حول أحداث سفينة مرمرة سيكون سبباً لعودة العلاقات بين الطرفين إلى سابق عهدها بعدما انتهت جهود الصلح الأمريكية بينهما إلى استعداد إسرائيل لإبداء أسفها عن أحداث سفينة مرمرة، ولكن المفاجأة كانت برفض الحكومة التركية لمضمون تقرير «بالمر» واعتباره مسيسا وتهديدها باللجوء إلى العدالة الدولية ثم قيامها بخطوات تصعيدية بطرد السفير الإسرائيلي والتأكيد على المطالبة بالاعتذار

(*) باحث جزائري.

وتعويض أسر الشهداء وقطع العلاقات العسكرية وإرسال سفنها إلى البحر المتوسط في إشارة واضحة لإسرائيل.

ونظراً لأهمية موضوع الخلاف وسبب التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية والاعتبارات السياسية المتعلقة به فإن أي خطوة بالنسبة لطرفي النزاع هي ذات أبعاد استراتيجية كبيرة ولها مدلولات بعيدة مثل: مَن هو الأقوى في المنطقة، ففي أقل تقدير لا يمكن لأنقرة أن تتراجع عن الإجراءات العقابية التي اتخذتها قبل أن تقوم تل أبيب بالاعتذار عن جريمة قتلها للأتراك التسعة وتعويض عائلاتهم وهذا أمر مستبعد جدا حيث سيكون سابقة خطيرة لإسرائيل كما سيُدخلها في مأزق مستقبلا إذا ما حاولت التعامل مع محاولات كسر الحصار عن غزة بنفس الطريقة ولربما يفتح الباب أمام الملاحقة القانونية لها، ولا شك أن صانع القرار التركي كان يدرك ذلك جيدا قبل اتخاذه لهذه الخطوات.

وبربط هذا مع موقف أردوغان من اتجاه السلطة الفلسطينية لطلب الاعتراف بدولة فلسطين في الأمم المتحدة وحديثه عن تواجد الأسطول التركي في شرق المتوسط لوقف العربدة الإسرائيلية وإصراره على فك الحصار عن قطاع غزة ونيته زيارتها كلها مؤشرات تدلل على أن ما تقوم به أنقرة أكبر من مجرد مناورات سياسية تكتيكية محدودة.

ومن هذا المنطلق فإن زيارة أردوغان إلى دول ثورات الربيع العربي لتعزيز العلاقات تدخل ضمن البدائل والخيارات الاستراتيجية لتركيا، كما أن الأزمة السورية بما تمثله من مخاطر على الأمن القومي التركي تفرض عليها التنسيق أكثر مع الدول العربية حتى يتسنى لها التعامل مع مستجداتها التي لا يمكن التكهن بها في ظل استمرار النظام في قمع المظاهرات دون أي أفق لتسوية سياسية، في مقابل الدور الإيراني السلبي المؤيد للنظام بالدعم الدبلوماسي الذي يقدمه إلى جانب روسيا والصين مما عقّد القضية أكثر.

وإذا كانت طهران حسمت أمرها بالوقوف إلى جانب دمشق إذا ما خيرت بينها وبين أنقرة فمن دون شك فإن الأخيرة ستختار الدول العربية التي تقف إلى جانبها بعدما حسمت أمرها بالانحياز إلى الشعب السوري بدل النظام الذي كانت تربطها به علاقات استراتيجية قبيل انتفاضة السوريين عليه.

أثر المحدد الداخلي على السياسة الخارجية الإيرانية والتركية

باعتبار السياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية كما يقول علماء السياسة، فإن هذا المحدد في هذه المرحلة يشكل الأساس المحرك للسياسة الخارجية الإيرانية في حين يعتبر رافداً لها في الحالة التركية وهذا ما سينعكس على أدائهما وموقفهما من قضايا المنطقة.

فالنظام الإيراني بحكم تركيبته الدينية بأبعادها الأيديولوجية (الدولة المهدوية العالمية) وظروف وحيثيات وصوله إلى السلطة سنة ١٩٧٩م، ركز خلال العقود الثلاثة من حكمه على المواجهة الخارجية لتوسيع قاعدة المؤيدين له من جهة، وتوظيفها لحسم معاركه مع القوى المعارضة داخليا (اتهامهم بالتآمر على الجمهورية الإسلامية وولاية الفقيه) من جهة أخرى، لذلك فإن كل الخطوات التي تقوم بها طهران - التي تعاني من أزمة سياسية منذ الانتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٩م - امتدت إلى داخل التيار المحافظ نفسه (الصراع بين المرشد الأعلى علي خامنئي والرئيس أحمدي نجاد) هي لأهداف داخلية أكثر منها خارجية.

وأهم عائق يقف أمام إيران في المرحلة القادمة ويحد من تحركاتها هو الحسابات الداخلية على المستوى الخارجي وعدم القدرة على التوفيق بينهما، إذ أن الرؤية الرسمية التي اعتبرت الثورات العربية امتداداً للثورة الإسلامية عبر حديث المرشد الأعلى وغيره من المسؤولين الإيرانيين عن شرق أوسط إسلامي يتشكل ومحاولة تحسين العلاقات مع القاهرة، وفي نفس الوقت التحامل على البحرين والتهديد بالتدخل العسكري هناك وغيرها من الممارسات القديمة الجديدة تسببت في ردود فعل عربية منتقدة للتصريحات والمواقف الإيرانية.

ومما أربك الخطاب الرسمي الإيراني أكثر هو الموقف من

الثورة السورية ووصمها بالمؤامرة رغم أن النظام الحاكم فيها بعثي ويفترض أيضا أن تشمله رياح التغيير الإسلامية وفق الرؤية الإيرانية، هذه المواقف هي محل سجال وجدال داخلي من المتوقع أن يستمر بشكل أكبر في المستقبل القريب خاصة وأن إيران مقبلة على معركة انتخابية.

أما في الجانب التركي فإن الانطلاقة الإقليمية الأخيرة لحكومة حزب العدالة والتنمية تأتي بعد انتصارات سياسية داخلية متتالية أبرزها حسم المعركة مع العسكر لصالح المؤسسة السياسية، والتوافق المبدئي في الخطاب السياسي الداخلي والخارجي للحكومة باختيارها الوقوف إلى جانب الشعوب.

الصراع على الإسلاميين

في ظل الأزمة التي يعيشها المشروع الإيراني في سوريا والتي دفعته إلى البحث عن بدائل أخرى عن النظام السوري بشكل جدي سواء من خلال التواصل مع معارضين له أو في مناطق أخرى كالعراق فإن التطلع الإيراني للاستفادة من التحول الجاري في مصر لا يخرج عن هذا الإطار أيضا، وقد طرح بعض المحللين سيناريو تحالف إسلامي (تحديداً جماعة الإخوان المسلمين) مع إيران في حال نجاحهم في الانتخابات القادمة، وهذا أمر وارد إذ سبق أن تحدث وزير الخارجية المصري السابق نبيل العربي عن علاقات طبيعية مع إيران أثارت مخاوف بعض الدول الخليجية حينها ولا يستبعد أن تكون هناك علاقات بهذه الصيغة مستقبلا تستغلها إيران لتنفيذ أجندتها الخاصة.

وما يعزز هذا الاحتمال أكثر أنه بالرغم من رفض الجماعة لتصريحات المسؤولين الإيرانيين حول العلاقة بين الثورة الإيرانية وثورة ٢٥ يناير، إلا أننا لم نلحظ أي انتقادات شديدة اللهجة من الجماعة ضد النظام الإيراني وحزب الله في دعمهما لقمع النظام لثورة الشعب السوري على عكس دفاعهما عنهما قبل الثورة.

كما أن التجارب التاريخية السابقة تبين أن الكثير من الحركات الإسلامية ورموزها - رغم كل الاستغلال الإيراني لها وخديعته لها بل وبيعها لأعدائها - إلا أنها لم تتعلم منها ولربما لن تكون معاقبة إيران لحركة حماس بسبب عدم تأييدها لنظام بشار الأسد آخرها، إضافة إلى ذلك فإن ردات فعل الجماعة على تصريحات أردوغان خلال زيارته إلى مصر والتي اعتبرتها الجماعة تدخلاً في الشأن الداخلي المصري وتحذيرها من محاولة تركيا الهيمنة الإقليمية على المنطقة قد تكون مؤشرات على صراع حول الزعامة الأيديولوجية أو الفكرية بين الطرفين في المستقبل تدخل على خطه إيران لخلط الأوراق من جديد.

الخلاصة

تكمن التحديات التي يفرضها الصعود التركي على إيران بالمنطقة في نقطتين أساسيتين:

تتمثل الأولى منهما في أن الدور التركي الحالي ينطلق من خلفية داخلية قوية اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وهو يحاول تعزيز هذه المكاسب لتوسيع نفوذه في المنطقة، والثانية تتمثل بعدم وجود قنوات غير شرعية لتركيا في علاقاتها مع الدول العربية فهي تدخل من الأبواب وبالطرق الشرعية على عكس إيران التي طالبها وزير الخارجية السعودي في وقت سابق بالدخول من الأبواب وليس من النوافذ في إشارة منه للعلاقات التي تقيمها إيران مع القوى الشيعية في الخليج لزعزعة أمن واستقرار هذه الدول.

والتحالف بين تركيا ومصر في هذه المرحلة يحقق للقاهرة العديد من المكاسب الاقتصادية وفي نفس الوقت يسمح لها بالحفاظ على علاقاتها مع دول الخليج العربي وتعزيزها أكثر بعدما كانت قد شهدت بعض التوتر بُعيد نجاح الثورة المصرية بسبب الاندفاع في عودة العلاقات المصرية الإيرانية.

بناءً على هذا، يجب استغلال كل هذه المتغيرات عربيا والتقدم بخطوات باتجاه تركيا بدل التشكيك في نوايا أردوغان والتحذيرات من خطر عثماني ومؤامرة أمريكية بأيدي تركية، وقبول إشاعات البعض على أن التوتر في العلاقة مع إسرائيل فقط لمجرد التغطية على نشر الدرع الصاروخية لحلف الناتو، فهذه كلها قراءات ضيقة إذ يفترض تقييم هذا التقرب التركي من

العالم العربي على أساس الفرص التي يفتحها لفائدة الطرفين والتي منها قطع الطريق على إيران التي تحاول تكييف مشروعها مع المتغيرات الجديدة في الدول العربية لخدمة مشروعها التوسعي الطائفي.

دكتاتورية المالكي أم دكتاتورية حزب الدعوة؟

خاص بالراصد

دكتاتورية المالكي:

الجميع اليوم في العراق يتحدث عن دكتاتورية رئيس الوزراء نوري المالكي ونهجه الإقصائي بدءاً من حلفائه في «التحالف الوطني» إلى خصومه في «ائتلاف العراقية»، لأن هذا لم يَعُد سراً أو حديثاً مقصوراً على أطراف المعارضة، فالمالكي بسط سلطانه على كافة الأجهزة والوزارات والمؤسسات بعد أن أبعد خصومه ومنافسيه بالتصفية السياسية أو الجسدية.

لكن الغريب في بعض التصريحات المنتقدة لدكتاتورية المالكي المتغولة هو تبرئة حزب الدعوة الحاكم من النهج الإقصائي الذي يمثله المالكي ومن معه، على الطريقة العربية الغبية بتزكية الحزب أو الجماعة أو حتى الحاكم واتهام بعض الأفراد بالسرقة واستغلال السلطة لغايات التسلط والاستبداد.

ما يهمنا إزاء هذا الطرح المشوّه لصورة الدكتاتورية الجديدة في العراق، هو الوقوف على الأصول الفكرية الدينية للاستبداد والإقصاء الذي يقوم به المالكي وحزب الدعوة باعتباره أصلاً ثابتاً في الفكر الشيعي السياسي.

فأحزاب الحكم اليوم (المعارضة بالأمس) مهدت لحكم الطائفة الواحدة بعد حكم الحزب الواحد (البعث) خلال سنوات المعارضة عبر ترسيخ أكذوبة استبداد الأقلية السنية واضطهاد الأكثرية الشيعية منذ سنة ١٩٢١، فأرادت من خلال ترويج هذا التزوير والتزييف لحقائق الماضي والحاضر أن تُوطئ للانتقام وإقصاء الطائفة السنية التي حكمت سابقاً، لا سيما بعد أن ضمنوا انحياز الديمقراطية الأمريكية إلى جانبهم. لذلك نجد سامي العسكري، القيادي في حزب الدعوة يقول في مقال نشره عام ٢٠٠٢: «الديموقراطية تمنح الشيعة الذين يشكلون حوالى ٦٠ ٪ من سكان العراق وحوالى ٨٠ ٪ من عربه، الفرصة التاريخية لرسم معالم الوضع السياسي العراقي»[1].

لقد استقرت معالم النهج الاستبدادي لعراق ما بعد صدام منذ أن ترسخت الأكاذيب الداعية لإعادة الحق لأصحابه وإنصاف الأكثرية المضطهدة، فقد مُنحت هذه الأكاذيب المصداقية والحصانة الدستورية والقداسة بوضعها في «إطار ديمقراطي عادل» ليُصبح المعارض له خارجاً عن القانون أو «إرهابياً رجعياً ظلامياً» فيما يشبه حصانة أكذوبة المحرقة اليهودية والعداء للسامية!.

لم تكن هذه الأكاذيب أقل شراً من أكذوبة أسلحة الدمار الشامل العراقية، فهذه الأخيرة هي التي مكنت الأميركيين من شن الحرب، فيما عملت الأولى على ترسيخ «دكتاتورية الطائفة».

تقول العقيدة الشيعية إن علياً وأولاده هم أصحاب الحق الشرعي في ولاية أمر الأمة بعد النبي ﷺ، وكل ولاية لمن سواهم هي ولاية غصب وجور وتسلط، وهذا الاعتقاد هو الركن المتين في النهج السياسي الشيعي، وكيف تستقيم الديمقراطية وتداول السلطة مع هذا المعتقد العنصري؟ ولهذا فكل تجارب الحكم الشيعي منذ أيام العباسيين (البويهية والعبيدية الباطنية) وحتى يومنا هذا كانت تقوم على أساس اضطهاد السنة وفرض الهيمنة الشيعية، فالأمر لا يتعلق بشخص المالكي أو الأطراف المقربة منه، إنما هو عقيدة أساسية تدفع أتباعها لسلوك طريق الإقصاء والاستبداد.

وقد التزمت الأحزاب الشيعية العراقية بتطبيق هذه العقيدة، فمنذ الاحتلال عام ٢٠٠٣ والأحزاب الشيعية الحاكمة تحاول توسيع هيمنتها، ففي عام ٢٠٠٥ تشكلت حكومة إبراهيم

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية (١٩/ ١٢/ ٢٠٠٢) مقال: (شيعة العراق بين الطرح الوطني والطرح الطائفي).

الجعفري (حزب الدعوة) لكن الهيمنة تقاسمتها جميع الأطراف الشيعية (المجلس الأعلى وتيار الصدر) لاسيما أنها كانت بداية مرحلة القضاء على الوجود السني وإضعافه، أكثر من كونها مرحلة تقاتل على السلطة المنتزَعة من السُنة.

أما عاما ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ فقد شهدا سيطرة واسعة للتيار الصدري وجناحه العسكري، جيش المهدي، على العاصمة، واعتمد المالكي على دعم الصدريين لترشيحه لرئاسة الوزارة.

لكن ربيع عام ٢٠٠٨ شهد بداية انحسار نفوذ المليشيات عبر الضغط الأمريكي على المالكي لضرب المليشيات في بغداد والبصرة ومحافظات الجنوب، وساهم «المجلس الأعلى» في حملة المالكي الأمنية للنيل من خصومه في «التيار الصدري»، وكان هذا الحدث بداية صعود نجم نوري المالكي ليصور نفسه على أنه الرجل القوي الذي قضى على إرهاب القاعدة والمليشيات الشيعية وأنهى فترة الاقتتال الطائفي!! حتى وصلنا للمرحلة الحالية التي استقرت الأمور فيها لحزب الدعوة بقيادة المالكي ومن دخل تحت جناحه من الأحزاب الأخرى، بعد أن عطل تشكيل الحكومة حتى سرق فوز القائمة العراقية في الانتخابات البرلمانية عبر تحالفه مع بعض الكتل الأخرى ليصبح الكتلة الأكبر بعد الانتخابات وليس قبلها!!

فدكتاتورية حزب الدعوة فرضت نفسها بعد جولات من الحرب الطائفية والإقصاء السياسي للسُنة والصراعات المتأججة داخل البيت الشيعي على النفوذ السياسي والعسكري في الدولة، كانت كلمة الحسم فيها للإيرانيين الذين كانوا يفضلون دعم الأقرب إلى توجهات خامنئي والأحرص على عدم مخالفتها، مما حسم الخيار النهائي لصالح المالكي.

إن نوري المالكي لا يمثل حزب الدعوة وحده، بل يمثل المذهب الشيعي ونهجه الثابت في التعامل مع المخالفين والمعارضين والذي لا بد أن ينتهي إلى دولة دكتاتورية كجمهورية إيران أو نظام «البعث الشيعي» في سوريا، أو حكومة حزب الله في لبنان.

حزب الدعوة:

يحتفظ حزب الدعوة بصورتين في أذهان الناس، الأولى تظهر صورة راقية لفكر معتدل ينادي لمشروع إسلامي موحد ترسخت من كتابات المفكر محمد باقر الصدر، وعلينا أن نُقرّ أن هذا الطرح الهادئ نشأ في ظل هيمنة البعثيين على السلطة، أي في فترة الخمول والتقية الشيعية.

لكن تغيرت الصورة تماماً حينما وصل الخميني إلى السلطة عام ١٩٧٩م، حيث أعلن «محمد باقر الصدر» تأييده للثورة فخسر حياته لقاء ثوريته واندفاعه المذهبي عام ١٩٨٠.

ظهرت الصورة الثانية بعد أن تبوأ حزب الدعوة موقعه الخياني خلال فترة الحرب العراقية الايرانية من خلال نشاطه المسلح ضد الدولة التي كانت تخوض حرباً مع إيران، فحزب الدعوة كان يتولى زعزعة الجبهة الداخلية، فيما كان المجلس الأعلى والمعارضة العراقية الموالية لإيران «كما يسمونها» تقاتل مع الإيرانيين على الجبهات، فما هو وجه الفرق بين الحزبين؟ ولما يُروج القول بأن حزب الدعوة بعيد عن الأجندة الإيرانية التي تنفذها الأحزاب ذات الولاء المطلق لإيران كالمجلس الأعلى؟

إن حزب الدعوة كبقية الأحزاب التي تأسست لتنفيذ أجندة سياسية شيعية على غرار جمهورية الخميني في دكتاتوريتها وقمعها للمخالف، وهذا النوع من الجماعات الراديكالية لا يستطيع أن يحافظ على المبادئ المثالية التي وُضعت في مرحلة الضمور المذهبي و«الانتظار السلبي لظهور المهدي»، فتسلك كل المسالك المحظورة للوصول إلى التسلط والتفرد كما فعل الخميني بعد انتصار ثورته، لذلك عانى هذا الحزب من انشقاقات وخلافات داخلية منذ الأيام الأولى للتأسيس (١٩٥٧) وحتى بعد احتلال العراق (٢٠٠٣) وهذه انشقاقات ليست ناتجة من التزام طرف بالمبادئ أو تخلي آخر عنها، وإنما هي ثمرة الاقتتال على السلطة وتقاسم المغانم وتوزيع المكاسب والمناصب في العراق المستباح.

زيف دعوى اتهام المالكي وتبرئة حزب الدعوة:

* إن الأصوات الشيعية المتصارعة مع المالكي تتفق معه على إقصاء السُنة، ومهما تعمق الخلاف بينهم فلن يقدموا سُنياً على خصمهم الشيعي، ولذلك لم يصدر أي انتقاد للمالكي حينما كان يدعم مليشيات الصدر عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ في مشروعها الاجتثاثي.

بل حتى الأطراف الشيعية المعارضة للاحتلال والحكومة (كجواد الخالصي ومحمد حسين فضل الله وأحمد الحسني البغدادي) لا تنتقد الحرب الحكومية ضد السُنة، ولا تُقر بوجودها أصلا، بل إن محمد حسين فضل الله أصدر بياناً يرثي فيه حال مدينة الصدر (معقل المليشيات في بغداد) بعد أن استُهدفت من قبل الأميركيين وتجاهل مصائب السنة على يد الميلشيات والقوات الحكومية الشيعية.

* هل يدير المالكي حكومته الدكتاتورية بمفرده أم بجيش من الأعوان والأتباع من حزب الدعوة وغيره، فهل كل هؤلاء خارجون عن نهج «حزب الدعوة» ولا يمثلونه؟ ومن هو الممثل الحقيقي لأفكار محمد باقر الصدر إذن؟

* كلما ظهرت عورة الطائفة الشيعية وانكشف للناس ما سُتر عنهم بحجاب التقية وصدأ الانكفاء السياسي، قامت فئة من الشيعة تنتصر لمذهبها بالتفريق بين من فضح وانكشف أمره كالمالكي على اعتبار أنه من الشذاذ والمحسوبين على الشيعة وبين النهج الأصيل للمذهب، وهذه الدعاوى (الفصل بين المالكي وحزب الدعوة) هي مثال جديد في ساحة التشويش وإعماء الانظار عن حقيقة المذهب ومخرجاته الدموية والدكتاتورية.

لقد تمت محاولات كثيرة لتزيين المذهب الشيعي بعد أن أحال العراق إلى خراب ودمار وفساد على مستوى عالمي، فكتب الشيعي المتطرف حسن هادي العلوي كتابة «شيعة العراق وشيعة السلطة». وحرص الصحفيون والمثقفون الشيعة ممن يصنفون على أنهم مناهضون للاحتلال الأمريكي على كتابة مقالات تُبرئ فيها جيش المهدي من جرائم القتل والتطهير الديني، وتتهم الأميركان بتجنيد مرتزقة من الخارج لإيقاد نار الفتنة الطائفية! وقبل ذلك حاول علي شريعتي التفريق بين «التشيع العلوي» و«التشيع الصفوي»، ولم نر إلى الآن صورة واحدة للتشيع العلوي! وكل هذه المحاولات التي يتولى القيام بها جبهة الاعتدال الشيعي (التيار الشيعي العربي كما يسمى) هدفها الحفاظ على سمعة جيدة للشيعة أمام العالم السني لتغطية النشاط الشيعي الدموي المتمدد في بلادنا، فهو اعتدال أخطر من التشدد وعداء ظاهر. ربما لم تعد تنجح هذه المحاولات بعد الثورة السورية التي فضحت الصورة الحقيقية العداونية للجبهة الشيعية (حزب الله، المالكي، إيران) أمام الجماهير السنية المغيبة عن الحقيقة منذ عقود طويلة.

الفيدرالية أو.. اللامركزية السياسية حفظ لوحدة العراق المهددة... وإنصاف لمكوناته المتعددة

د. طه الدليمي(*) – مشرف موقع القادسية

ثمة إشكالية رئيسة تنبع من أن العراق يحمل خصوصية التنوع والاختلاف العرقي والطائفي المتمثل بوجود مكونات متعددة ومتناحرة دينياً وعرقياً ولغوياً وثقافياً تربط بين أفراد الواحدة منها روابط خاصة ناتجة عن خصوصية ظروفهم ومصالحهم المشتركة، ما يحوجها إلى قدر من تمثيل حقوقها في ظل حكومة قادرة على التعاطي الايجابي مع هذا الاختلاف.

بافتقاد العراق لمثل هذه الحكومة العادلة المرنة، ووجود حكومة مركزية طائفية اجتثاثية مستبدة، تدفع المكونات المضطهدة، والفئات المسحوقة إلى محاولة الإفلات من قبضة المركز الحديدية، وتحصين السلطة من انفراد جهة معينة أو

(*) باحث عراقي.

شخص محدد، وتوزيعها بين أكثر من طرف، ومنح صلاحيات أوسع لإدارات السلطة المحلية ضماناً لعدم عودة الاستبداد. تصبح اللامركزية السياسية (الفدرالية) في إدارة الشؤون الخاصة للمكونات المختلفة مطلباً ملحاً لتحقيق هذه الغاية العظيمة.

تهدف (اللامركزية السياسية) أو (الفدرالية) إلى الحفاظ على وجود وهوية المكون السني العربي، وغيره من المكونات العراقية الأخرى، وحمايته من الإذابة والاجتثاث وتغيير الهوية، وتحمل المظالم من القتل والاغتيال والدهم والاعتقال والتعذيب والتهجير، وحرمان الحقوق وسلب الثروات وتبديدها، وعرقلة مشاريع البناء والإعمار والتطوير. وفي المقابل يهدف إلى توطيد أمن أبنائه وحمايتهم من الملاحقة والمكائد الطائفية للحكومة المركزية، ما يسهم في إرجاع المهجرين منهم إلى مناطقهم، وتقوية هذه المناطق وزيادة ثروتها واستغلال خبرات أفرادها وكفاءاتهم وتفعيلها من أجل البناء والإعمار والتطوير إضافة إلى تعزيز وحدة العراق وتوثيق العلاقة بين مكوناته. وذلك بتقليل سيطرة الحكومة المركزية الطائفية وتحكمها في أمن واقتصاد وثقافة وحاجات الأقاليم، وتوزيع صلاحياتها غير الحصرية على هذه الأقاليم. وبهذا نحقق هدفين عظيمين:

١. تحصيل حقوق مكونات الشعب العراقي، ورفع الظلم عنها، وكف التظالم والتشاحن بين هذه المكونات.

٢. الحفاظ على وحدة العراق وتعزيزها.

المشكلة أن الثقافة الجمعية لكثير من العراقيين - لا سيما العرب السنة – والعرب خارج العراق تماهي بين الفدرالية والتقسيم إلى حد التطابق. وكاتب السطور كان يرى ذلك أيضاً. لكنني عندما رجعت إلى الموضوع في المراجع السياسية العامة، وفي الدستور العراقي وانعكاساته التطبيقية على أرض الواقع، تبين لي أن هذا الخلط بعيد عن الحقيقة!

وحتى يكون كلامنا أو نقاشنا علمياً مدللاً عليه أرى أن أتناول هذا الموضوع الحيوي - الذي يفرض نفسه اليوم بقوة على واقع العراق الجريح - من نواحيه الثلاث التي أشرت إليها آنفاً:

ما هي الفدرالية ؟

نظام سياسي إداري تكون فيه السلطة النهائية مقسمة بين المركز والأطراف، وبخلاف النظام المركزي تنقسم السيادة دستوريا بين منطقتين أو أكثر بحيث يستطيع أي من هذه المناطق أن يمارس السلطة على نفسه دون تدخل المركز أو الولايات الأخرى. والفدرالية واقعاً وتطبيقاً ليست نوعاً واحداً. فهناك أنواع كثيرة من الفدراليات في العالم.

ومن حيث التكوين فهي نوعان:

إما أن تنضم عدة دول بعضها إلى بعض مثل أمريكا وأستراليا حديثاً، وكما كانت عليه الدولة الإسلامية في قمة مجدها وعامة عصورها قديماً؛ وذلك حلاً للتنوع والاختلاف الثقافي والعرقي واللغوي بين مكوناتها الوطنية.

أو العكس بأن تتحول دولة مركزية إلى فدراليات متعددة مثل الهند وكندا وإسبانيا. وهذا النوع تلجأ إليه الدول منعاً للتجزئة والتقسيم حين تكون الدولة ذات مكونات تختلف في لغتها وهويتها الثقافية، وتحصل بين هذه المكونات المختلفة توترات مستمرة. كما فعلت الهند بعد انفصال باكستان وبنغلادش فحافظت على وحدتها بعد ابتداء تفتتها.

الفدرالية تقاسم سياسي وإداري لا جغرافي

الفدرالية تقاسم سياسي وإداري لا تقسيم جغرافي

تقاسم سلطة وثروة .. لا تقسيم دولة

إنها........ تنظيم .. لا تقسيم

والدليل على ما أقول أمران:

الأول هو أنه لا يوجد تطابق في المفهوم التعريفي العلمي بين الفدرالية وبين التقسيم الجغرافي.

والثاني هو استقرار البلدان الفدرالية كالإمارات وبلجيكا مثلاً، وعشرات الدول غيرها، واستمرارها متحدة متوافقة. على العكس من دول مركزية النظام كالسودان، ويوغسلافيا.

الفدرالية في الدستور العراقي

بالرغم مما في الدستور من خلل متعدد الجوانب، إلا أن فيه العديد من الفقرات يمكن استثمارها لرفع الحيف عن مجتمعنا، وخدمته بصورة أفضل. سيما وأن الدستور ملزم قانوناً، ومعترف به دولياً، ويعتبر المرجع الرسمي للمؤسسة الحاكمة. لا نحتاج إلى أكثر من توفر الإرادة الواعية لتفعيل هذه الفقرات خدمة لمناطقنا وتحويلها إلى مناطق آمنة نسبياً؛ إذ يقوم أهلها بواجب الحفاظ على أمنها دون تدخل من خارجها، والتخفيف من الظلم الواقع على أبنائها. وذلك ضمن العراق الواحد.

يتضح من قراءة فقرات الدستور الخاصة بصلاحيات السلطة المركزية وسلطة الأقاليم ما يلي:

إن واجبات وصلاحيات الحكومة المركزية (الاتحادية) تشكل أساساً متيناً لصالح وحدة العراق، والمحافظة على سيادته وأمنه الخارجي، وتحتوي على جميع الأسس التي تكفل بقاء العراق وحدة واحدة لا تقبل التجزئة والتقسيم.

صلاحيات الحكومة المركزية وإن كانت واسعة، لكنها محددة بصلاحيات الأقاليم ما ينتج عنه موازنة جيدة أقرب إلى تحقيق العدل ورفع الظلم. فمن صلاحياتها رسم السياسة الخارجية، دون التدخل في السياسة الداخلية للإقليم. ومنها إنشاء القوات المسلحة، لكنها تختص بالحدود والأمن الخارجي، ولا تتدخل بشؤون الأمن الداخلي. فهذا من صلاحيات حكومة الاقليم بكل ما تتطلبه واجباتها الإدارية، من انشاء وتنظيم قوى الامن الداخلي كالشرطة والأمن وحرس الاقليم.

للإقليم صلاحيات واسعة في إدارة شؤونه الداخلية، تمتد لتصل إلى المشاركة في الصلاحيات الحصرية بالسلطة الاتحادية. بل للإقليم الأولوية عند التعارض في الصلاحيات المشتركة، والصلاحيات غير المنصوص عليها. وفي القانون مرونة بحيث يجوز تفويض سلطات الحكومة الاتحادية للمحافظات أو بالعكس.

رئيس الإقليم هو المحافظ، الذي سيأتي إلى رأس السلطة عن طريق الانتخاب المحلي كل ٤ سنوات. وفي ذلك جواب عن تخوف البعض من سيطرة الأشخاص المتنفذين وصراعهم على السلطة. وإقليم كردستان شاهد. ومن المؤكد أننا لن نكون في حكمتنا أقل من إخواننا الأكراد.

أما فقرة حق تأسيس مكاتب للاقاليم والمحافظات في السفارات والبعثات الدبلوماسية لمتابعة الشؤون الثقافية والاجتماعية والانمائية. فهي تمنح الإقليم قوة سياسية، وتعطيه حرية في تقوية ذاته من حيث إقامة العلاقات واستثمارها لصالح الإقليم سياسياً واقتصادياً وعلمياً وغيره.

ما يخص ثروات النفط والغاز فهي ملك عام مشاع لكل الشعب العراقي في كل الاقاليم والمحافظات توزع وارداتها بشكل منصف يتناسب مع التوزيع السكاني في جميع انحاء البلاد. فلا مجال للاعتراض بأن الأنبار أو الأقاليم السنية فقيرة بالثروات الطبيعية، مع ما في هذا القول من مخالفة للواقع. كما أن الدستور كفل لحكومات الاقاليم والمحافظات المنتجة حق المشاركة في إدارة الثروات ورسم السياسات الاستراتيجية اللازمة لتطويرها.

قانون إدارة الجمارك يخدم حرية العبور عبر الحدود دون تأثيرات طائفية. سيما وأن الأولوية فيه عند الاختلاف لسلطة الإقليم؛ فهو من الاختصاصات المشتركة. وإذا جمعت بينه وبين استقلال الإقليم في تكوين قواه الأمنية الداخلية وحرسه الخارجي دون تدخل مركزي فإن هذا يؤدي إلى بسط الأمن وتحقيق شعور المواطن بالأمان الحقيقي ما يساعد على رجوع مئات الآلاف من المهجرين السنة، الذين لا عائق أمامهم سوى ملاحقة الحكومة المركزية الطائفية.

للإقليم حقه في وضع الدستور والقوانين الخاصة به. وحقه في ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. فأبناء الإقليم لهم قضاؤهم ومحاكمهم المستقلة، فلا يحق للسلطة المركزية ملاحقة أو دهم أو اعتقال أو محاكمة أي عراقي خارج نطاق إقليمه. بل يحق لسلطة الاقليم تعديل القانون الاتحادي

داخل حدود الاقليم في حالة وجود تناقض أو تعارض بينه وبين قانون الاقليم بخصوص مسألةٍ لا تدخل في الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية. إن هذا ينزع كثيراً من التأزمات والتوترات النفسية الجمعية بين إقليم وآخر. وفي ذلك علاج عملي للآثار السلبية للمحاصصات الطائفية.

وأما الفقرة المتعلقة برسم السياسة التعليمية والتربوية فتصلح أساساً لوضع علاج ناجع لمعضلة تغيير المناهج الدراسية الذي يصب اليوم لصالح الخطة المتبعة في تشييع المناطق السنية.

تقسيم العراق غير ممكن وا وارد

يخشى معارضو (الفدرالية) من أن تكون سبيلاً إلى تقسيم العراق، وبعضهم لا يفرق بين الفدرالية والتقسيم، فهما في ذهنه شيء واحد. ونرى أن هذا مجانب للصواب، كما أنه غير ممكن ولا وارد للأسباب التالية:

إن مفهوم الفدرالية شيء، ومفهوم التقسيم شيء آخر. ولا تلازم بينهما. بل التلازم بين المركزية الظالمة والتقسيم أقوى. علماً أن أكثر من ٤٠٪ من دول العالم هي دول تتبع النظام الفدرالي، وتمتاز بالتوحد وعدم الانقسام. والدول تلجأ إلى الفدرالية منعاً للتجزئة والانقسام. فالهند – مثلاً – تحولت سنة ١٩٤٩ إلى النظام الفدرالي بعد انفصال باكستان وبنغلادش عنها سنة ١٩٤٨. ومركزية السودان لم تقف حائلاً أمام انفصال الجنوب، وهي مرشحة لمزيد من الانشطار والتفتت.

الثقافة الشعبية لعموم العراقيين تنفر من التقسيم وتقف ضده.

وقوف دول الجوار ضد التقسيم؛ بسبب خوف هذه الدول من انتقال الظاهرة إليها. وأشدهم خوفاً إيران؛ بسبب تركيبتها العرقية والطائفية.

لو كان تقسيم العراق ممكناً داخلياً وخارجياً لتمكن إقليم كردستان العراق من الانفصال منذ زمن بعيد.

يظهر أن الإرادة الدولية لا تميل إلى التقسيم – على الأقل في هذه المرحلة – والدليل أن الأمريكان قرب جلاؤهم ولم يقسموا العراق. ولو كانوا يريدون ذلك لقسموه قبل أن يخرجوا.

تبدل الاتجاه الشيعي – ومنذ عدة سنوات – عما كانوا عليه بداية الاحتلال.

حرص الحكومة المركزية (الشيعية) بقيادة نوري المالكي على الحكم المركزي. وهذا التحول في الموقف بالنسبة له ولعموم الشيعة نابع من أمرين:

الأول: حرص الشيعة – ومن ورائهم إيران – على تشييع المناطق السنية وصولاً إلى ابتلاع العراق كله، وهذا لا يتسنى لهم كما يريدون في حال احتماء المناطق السنية باللامركزية السياسية أو ما يسمى بالفدرالية.

والثاني: استحقاقات طبيعة الحكم لا سيما الاستبدادي منه.

إن تمتع كل محافظة أو إقليم بالحرية في إدارة شؤونه بعيداً عن تدخل الآخرين سيزيل أسباب الاحتقان وعوامل التوتر بين المكونات المختلفة. كما أن أسلوب الإدارة اللامركزية عادة ما يكون أكثر معرفة بجذور المشكلة، وتقاليد وتواضعات المجتمع ونفسيات أهله، ما يجعله أكثر فعالية في حل النزاعات والمشاكل والقضاء على أسبابها. وهذا سيؤدي بطبيعته إلى تعزيز الوحدة، بدل أن تبقى هذه الأسباب والعوامل تتفاعل وتتضاعف وتتفاقم في حال الحكم المركزي، وتسلط فئة على فئة؛ ما ينتج عنه واحد من أمرين: إما سحق الفئة الضعيفة أو المستضعفة وذوبانها مع الزمن في جسم الفئة القوية التي تعمل على امتصاصها وتمثلها، وهذا ما يسعى إليه الشيعة اليوم تجاه السنة. أو زيادة التوتر إلى حد الانفجار والتشظي، وهذا هو الراجح في مثل العراق؛ لأن القوى متكافئة، وإن حصل في كفتيها اختلال في وقت أو ظرف ما فإنه لن يطول، وعند ذاك ستكون الحرب الأهلية، والتقسيم هو النتيجة المتوقعة لاحقاً.

فقرات الدستور تضمن الحفاظ على وحدة البلد فكرة وتطبيقاً. فعلى سبيل المثال:

تنص المادة (١٠٩) من الدستور على ما يلي: «تحافظ السلطات الاتحادية على وحدة العراق وسلامته واستقلاله وسيادته ونظامه الديمقراطي الاتحادي».

وتنص المادة (١١١) على أن: «النفط والغاز هو ملك كل الشعب العراقي في كل الاقاليم والمحافظات». هذا معناه أن موارد العراق الرئيسة، وإن نصص الدستور على أنها توزع بالتساوي على الجميع، لكنها تبقى بيد الحكومة المركزية، ما يجعل الأقاليم في حاجة دائمة للارتباط بالمركز.

التجربة الكردية شاهد حي

إن تجربة إقليم كردستان السياسية والاقتصادية والأمنية والخدماتية مثال واضح للجميع في نجاح التجربة الفدرالية، وعدم التلازم بينها وبين التقسيم. لقد أصبح الإقليم أهم مناطق العراقية جاذبية للاستثمار المحلي والدولي على حد سواء، لتوفر الأمن وشيوع الأمان والظروف المناسبة لذلك. إضافة إلى تمتع المواطن الكردي بالحرية، وتمتع الإقليم بهوية سياسية قوية. ورغم رغبة الكرد في الانفصال، ووجود جيش للإقليم غير خاضع للمركز، وحكومة بكامل نصابها من الوزراء، ومجلس نواب لكن ذلك لم يكن له أن يحدث.

إن هذه التجربة كان من المفترض أن تطبق في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١، ولو حصل ذلك لكان من المستبعد أن يحصل ما حصل في العراق سنة ٢٠٠٣.

الفدرالية ضمان للحفاظ على وحدة العراق بتقوية السنة

ثمة قواعد جوهرية في المعادلة الاجتماعية والسياسية للعراق. منها القاعدتان التاليتان:

- لا عراق واحداً من دون السنة العرب.
- ولا عراق واحداً سيبقى ما دام الشيعة يتحكمون في شؤونه، ويزيدون السنة ضعفاً على ضعف.

على هذا الأساس نقول: إذا استمر الوضع على ما هو عليه من تغول الشيعة وضعف السنة، فنحن أمام أحد احتمالين:

ذوبان السنة وزوالهم، أو ضمورهم وتحولهم إلى شراذم لا يؤبه لها، أو تفجر الوضع – وهذا هو الوارد ومقدماته بدأت تلوح في الأفق – واحتمال تشظي العراق، يمكن صياغة هذا المعنى بالخطوات التالية:

تقوية السنة إذن هي الضمانة الوحيدة لوحدة العراق.

ولا يمكن تقوية السنة قبل تحررهم بما يكفي من تحكم الشيعة.

ولا يمكن تقوية وتحرر السنة من تحكم الشيعة ما لم يكن بينهم وبين الحكومة المركزية الطائفية نوع من الوقاية والحماية، يمنحهم الفرصة للتفكير والعمل على تقوية وضعهم الداخلي بعيداً عن تدخلاتها.

وهذا لن يحصل دون تفعيل فقرات الدستور الخاصة باللامركزية السياسية.

إذن اللامركزية السياسية أو الفدرالية ضمان لوحدة العراق والحفاظ عليها. وليس العكس.

مزايا المحافظات السنية المنتظمة في إقليم

وإليكم هذه المزايا التي يمكن الحصول عليها من انتظام المحافظات السنية الأربع (نينوى والأنبار وصلاح الدين وديالى) في إقليم أطلق عليه البعض اسماً مقترحاً هو (الإقليم الغربي) والبعض الآخر اقترح تسميته بـ(إقليم شمال وسط العراق) أو (إقليم الرافدين):

يبلغ حجم الإقليم أكثر من ٥٠٪ من مساحة العراق. وله حدود مع السعودية وسوريا والأردن، إضافة إلى تركيا وإيران. وهذا له مردوده الاقتصادي والسياسي الكبير على أبناء الإقليم؛ إذ يمثل الإقليم نقاط عبور حيوية مع دول الجوار يؤدي دوراً استراتيجياً في تطوير الاقتصاد العراقي عن طريق الكمارك والتبادل التجاري، وإقامة العلاقات السياسية. من ذلك أثره الحيوي في معادلة الأمن القومي العربي؛ إذ يعمل هذا الإقليم على تحزيم الدول العربية المجاورة بسياج أمني ضد المشروع الإيراني.

يبلغ تعداد المحافظات الأربع أكثر من ٢٥٪ من سكان العراق. وهذا سيمنح الإقليم ما يزيد على ربع الحصة من الميزانية السنوية لتغطية برامجها التشغيلية والاستثمارية.

يحتوي الإقليم على ثروات نفطية وغازية هائلة غير مستثمرة.

ففي الأنبار – مثلاً – ثروة نفطية هائلة تقدر بـ(١٠٠) مليار برميل، وهي تعادل نفط كركوك والبصرة، وفيها أكبر مخزون للغاز في العالم (حقل عكاز) إذ يقدر الخبراء حجمه بقرابة (٥٣) ترليون قدم٣ من الغاز الطبيعي. ولا يخفى ما لهذه الثروات الهائلة من مردود اقتصادي على أبناء الإقليم خصوصاً من حيث تشغيل الأيدي العاملة وتطوير المنطقة عندما تمتلك إدارة ذاتية لها بصلاحيات واسعة. فإذا علمت أن مساحة الأنبار تؤلف ثلث مساحة العراق، وأن سكانها يقدرون بمليون ونصف مليون نسمة، عرفت كم سيكون نصيب الفرد الواحد من حصتهم في هذه الثروة! وكم سينتعش الاقتصاد! وتتطور المنطقة! وكيف سيقضى على البطالة قضاءً مبرماً!

يمر في الإقليم النهران الرئيسان (دجلة والفرات) إضافة إلى روافدهما. وفيه مجموعة من البحيرات الكبيرة التي تنظم مناسيب المياه في النهرين. وهذا يمنح الإقليم خاصية التميز في الثروة والإنتاج الزراعي على باقي الأقاليم في العراق، بل والدول العربية وكثير غيرها. بل إن مرور النهرين في الأنبار إحدى ضمانات وحدة العراق.

في الإقليم توجد أعظم وأفضل الكفاءات والخبرات البشرية في العراق. وهذا يمنحه الفرصة للنهوض السياسي والاقتصادي والعلمي، وبصورة أسرع من غيره، ويهيئ فرصة كبيرة لجلب الاستثمارات الداخلية والخارجية إلى الإقليم.

التعاون والتواصل مع إقليم كردستان وإقليم بغداد وبقية المحافظات على أساس التكامل والتبادل الاقتصادي.

سيؤدي الإقليم دوراً مهماً وفاعلاً في جذب العراقيين للرجوع إلى الداخل والعيش في مناطق آمنة منيعة محصنة أمام التدخل المركزي الطائفي.

قرب الموصل من تركيا وأوربا يسمح لها بأن تكون العاصمة الاقتصادية لشمال العراق، كما هو شأن البصرة في جنوب العراق.

سيتمكن الإقليم من تطوير تشريعاته الخاصة بالعديد من الفقرات المجحفة والمعمول بها في الحكومة الاتحادية، والتي تقع خارج نطاق المسؤوليات الحصرية للحكومة. على سبيل المثال قوانين (اجتثاث البعث) أو (المساءلة والعدالة).

سيتمكن الإقليم من رفض أي تشريع دستوري يهدد مصلحة العراق العليا، أو وحدته الوطنية وسلامة أراضيه. فيكون الإقليم ضمانة وحافظاً لوحدة العراق.

حل معضلة تحسين الخدمات الأساسية، والاستخدام الأمثل للموارد والمخصصات الاتحادية في الاستثمار الحقيقي في تكوين البنية التحتية للإقليم. والتركيز على التعليم وبناء الجامعات على أسس علمية عالمية للنهوض بالمستوى العلمي للمجتمع وتطوير خبراته العملية.

إن هذا كله سيسهم إسهاماً فعالاً في علاج التأزمات الطائفية، وانصراف الناس للبناء وتحقيق المصالحة، والابتعاد عن الصراع الأثني المسيس الذي كلف العراق أجيالاً عديدة، ولم يخلق غير الكراهية والبغضاء بين مكوناته.

سيكون للإقليم دوره المهم في دعم الحكومة الاتحادية بدل الصراع ضدها والاحتراب معها، وتعزيز قوة الجيش العراقي لحماية وحدته وحدوده، وتطوير العمل التجاري الداخلي والخارجي، وزيادة الموارد الاتحادية. وخلق فرص كبيرة للعمل، والقضاء على البطالة.

حل مشكلة تغيير المناهج الدراسية، ما يساعد مساعدة حيوية في الحفاظ على الدين والهوية السنية بعيداً عن تهديدات البرنامج الطائفي في تشييع المناطق السنية القائم اليوم على قدم وساق.

إن إدارة كل محافظة أو إقليم لشؤونه سيجعل أبناءه يعتمدون على أنفسهم، ويخلق دعامة أساسية للنهوض الاقتصادي والاجتماعي للمحافظات أو الحكومات المحلية تأتي عن طريق التنافس الإيجابي بين سكان الأقاليم، وهذا سيشجع البناء ويزيد الإعمار ويقوي المنطقة ويجعلها تزدهر وتستقر أكثر، ما يعود بالنفع والقوة والمنعة على البلد كله.

إن اللامركزية تؤدي إلى الوصول لحسن الأداء الإداري

لأسباب منها:

أ. إن حاجات المحافظة سيتم تحديدها بوجه الدقة لان أعضاء مجلس المحافظة الذين يتولون الإدارة هم من أهل المحافظة نفسها ويملكون معلومات دقيقة عن احتياجات ومصالح محافظتهم.

ب. إن أعضاء مجلس المحافظة سيكون لديهم ولاء وإخلاص بقدر ما، يتفانون في تطوير محافظتهم أكثر من الأشخاص الآخرين الذين لا ينتمون إلى المحافظة. كما أن خوف الأعضاء من الفشل العلني أمام أبناء محافظتهم وطموحهم للنجاح أمامهم لكسب الرضا والقبول والتأييد لهم مستقبلاً، كل هذا يحسن من فاعليتهم وأدائهم.

ج. إن اللامركزية تستجيب لواقع التفاصيل الإدارية المتشعبة، كما تؤدي إلى السرعة في الأداء خاصةً في مواجهة الأزمات الطارئة.

ظهور السنة العرب - بعد تفعيل الفدرالية - كقوة رئيسة، بل القوة الرئيسة في العراق، سيكون مانعاً من أي إجراء مجحف بحق السنة في بغداد، ولا الأقليات السنية في المحافظات الجنوبية كالبصرة والكوت والناصرية والسماوة. وهذا ما لا يمكن تحقيقه قط ونحن على ما نحن عليه اليوم من ضعف. وفي هذا جواب لمن يسأل: ما مصير السنة في بغداد وبقية المحافظات؟

العراق هو البوابة الشرقية للأمة العربية ودولها بوجه إيران الشعوبية. وقد انكسرت هذه البوابة بسيطرة الشيعة على العراق وانحسار السنة. وما لم يرجع السنة العرب إلى سابق عهدهم فلن تزداد تلك البوابة إلا اتساعاً أمام خطر إيران التوسعي. الفدرالية تمنح السنة هذه الفرصة؛ وبذلك يكونون سياج حماية للدول العربية المجاورة على المدى القصير والبعيد. فبمجرد استقلال المناطق السنية العربية على طول الحدود الغربية، وتمتد جنوباً لتتعشق مع جزء كبير من حدود المملكة العربية السعودية، سيتشكل سياج الحماية هذا بكل تداعياته الإيجابية: أمنية وسياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها.

إن اللامركزية السياسية هي الحل الأمثل للوضع العراقي وهي وان انطوت على بعض المشاكل الفنية والإدارية إلا إنها ستنتج ثمرة طيبة في نهاية المطاف، إذا ما طبقت بصورة دقيقة غير منحازة لجهة معينة أو لأغراض سياسية.

وهكذا ترون إن اللامركزية (أو الفدرالية) تمثل أساساً لحلول عملية جذرية لعامة الأزمات الداخلية والخارجية. علماً أن الزمن ليس في صالحنا. لأننا كلما تأخرنا ضعفت قوتنا. وفرق كبير بين مستحقات فدرالية يحصل عليها قوي، وأخرى تمنح لضعيف.

رقصة إيرانية على أطلال السعودية

أحمد الفارسي(*) - كابول

ليس من المستغرب أن تواجه الدول أزمات سياسية خانقة فتراجع على إثرها سياساتها وخططها وعلاقاتها وتعرف أصدقاءها وتدرك حقيقة أعدائها، وبالطبع تظل الدبلوماسية الخارجية هي الهوية الشاخصة وترجمان البلاد وواجهته في الخارج!

قبل أربعة أشهر، اغتيل موظف في القنصلية السعودية بميناء كراتشي في باكستان وما أن تناقلت وسائل الإعلام الخبر إلا وهبّ إخواننا السعوديون يتركون باكستان عن بكرة أبيهم، وقد استغرب الباكستانيون والعالم من هذا التصرف اللامسئول تجاه البلد المستضيف وتجاه السعودية نفسها! ولا سيما أن باكستان بالنسبة للسعودية شريان حياة وأكثر من أخ كبير، والتفريط فيه سذاجة خطيرة!

ما معنى هروب السعوديين من العاصمة الباكستانية

(*) باحث باكستاني.

وبينها وبين كراتشي – محل الحادث – مسافة تتسع لأكثر من عشرات الدول أمثال البحرين وقطر والكويت؟! ولمَ تُغلق المدرسة السعودية في إسلام أباد لاغتيال رجل أمن سعودي على بعد أكثر من ألف وخمسمائة كيلومتر؟!

عملية الاغتيال كانت رسالة واضحة من إيران إلى السعودية على إثر أحداث البحرين، فقد قالت إيران كلمتها بعنجهيتها المعهودة وبكل صراحة وبأسلوبها الدموي: «إننا قادرون على أن نحجم دور السعودية ونسجنها في صحرائها القاحلة ونضايقها في كل العالم إذا أرادت أن تشاكسنا في أهدافنا وسياساتنا»!

فهل كانت الدبلوماسية السعودية في باكستان على مستوى المسئولية؟!

وقبل أيام قلائل هجمت عناصر من حركة طالبان على مقر قوى الناتو والسفارة الأمريكية في كابول.. وعلى إثرها حدث ما لم يكن في حسبان أحد!

دعونا نقرأ جزءاً من بعض ما ورد في الإعلام الأفغاني الشيعي المدعوم من إيران:

«فقد هرب السعوديون وعوائلهم عن أفغانستان في خفاء تام وفي ظلمة الليل البهيم، بعد أن أحرقوا جميع المستندات والأوراق الرسمية في السفارة السعودية، ولم يعرف الموظفون الأفغان عن هروب القوم إلا وقت الدوام في اليوم التالي!

وهذا إن دل فيدل على أن السفارة السعودية ووزارة الخارجية السعودية لم يكونوا إلا عناصر في المخابرات الأمريكية، فما تفسيركم لهروبهم إثر تفجير السفارة الأمريكية ولماذا أحرقت مستندات السفارة؟!

آه على السعودية كيف أذلت نفسها وباعت عفتها بثمن بخس دراهم معدودة للأمريكان!

للسعودية مكانة خاصة في قلوب المسلمين لوجود الحرمين بها، وها هم آل سعود جعلوها نهباً للنصارى وصارت السعودية فتنة وفرقة تثير سمومها في بلاد الإسلام من مصر والبحرين واليمن وغيرها. فيا ترى! لم كل هذا؟! ويا ترى! ماذا تأخذ السعودية من أمريكا مقابل هذا الخنوع والذل والعار والشنار»؟!

http://www.afghanpaper.com/nbody.php?id= (٢٧٠١٠)

لقد طربت إيران ورقصت على أطلال السعودية في أفغانستان بعد أن رأت الساحة قد أخليت لها تماماً لتصول فيها وتجول كيفما شاءت، وتضم أفغانستان تحت جناحها وتتخذ منها عراقاً آخر أو سورية أخرى في حربها الشرسة للعالم العربي عموما وللسعودية بوجه خاص..

فهل تدرك الدبلوماسية السعودية حجم الضربة القاتلة التي تتحملها من جراء تصرفاتها اللامسئولة هذه؟! ألم يأن للقادة السعوديين أن يحاسبوا هذه الدبلوماسية الفاشلة ويختاروا مَن هم على مستوى المسئولية وبإمكانهم تقديم صورة تليق بالمملكة للعالم؟!

ولماذا لا يوجد للسعودية إعلام بلغات البلاد التي تصاحبها، بينما لإيران منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً قنوات فضائية وإعلام تنافس الإعلام العالمي بأكثر من خمسين لغة؟! واليوم من يملك الإعلام يملك العالم، وبإمكانه تشويه صورة أعدائه وتبرئة نفسه مهما كان!

ألم يأن للسعودية أن تدرك الحقائق المرة، فتعيش الواقع بحجمه؟!

عراقة الإجرام الأسدي!!

خاص "بالراصد"

مَن طالع الكتب التي دونت تجارب من عادوا إلى الحياة بعد أن ماتوا عشرات السنين في سجون الأسديين يدرك أن ما تبثه الفضائيات اليوم من مقاطع تقشعر لها الأبدان وتدمع منها العيون دماً وتتفطر لهولها القلوب ليست سوى جزء بسيط من حقيقة عراقة هذا النظام الطائفي في الإجرام والوحشية.

والكتب والروايات التي وثقت خسة ونذالة هذا النظام ودمويته وقذارته تكاد تكون وكأنها السيناريو الذي يقوم شبيحة الأسد بتنفيذه حرفياً اليوم على الشعب السوري بأكمله بعد أن كان يقتصر على الضحايا في السجون والمعتقلات.

وفي حين أن جرائم جمال عبد الناصر وزبانيته – وهو والأسد زملاء في القومجية العربية والإجرام- لقيت من التوثيق والإعلان الشيء الكثير، إلا أن جرائم الأسديين لم تلق ذلك الاهتمام حتى من جماعة الإخوان بعامة والسورية بخاصة، ولعل السبب في ذلك حساباتهم السياسية الخاطئة في السكوت عن جرائمه الوحشية بحق الإسلام والمسلمين طوال هذه السنين العجاف لكونه يرفع راية المقاومة ثم قيامه باحتضان حركة «حماس»، وهذه قضية يجب أن تخضع لنقاش علمي وشرعي من جديد لمراجعة أداء الحركات الإسلامية: هل يجوز السكوت عن جرائم أي نظام تجاه الإسلام والمسلمين بحجة تقاطع المصالح السياسية معه؟؟؟



من الكتابات التي فضحت وحشية النظام الأسدي:

١ – «تدمر: شاهد ومشهود» **لمحمد سليم حماد**، وهو شاب أردني سُجن ١١ عاماً دون محاكمة!!

٢ – «القوقعة، يوميات متلصص» **لمصطفى خليفة**، وهو كاتب مسيحي سوري اعتقل ١٣ عاماً على وشاية كاذبة أثناء دراسته الإخراج السينمائي في باريس، وطوال هذه السنين لم يحاكم، وأفرج عنه بسبب وساطة خاله الشيوعي حين أصبح

وزيراً!!

٣- «خمس دقائق وحسب، تسع سنوات في سجون سورية» **لهبة الدباغ**، وجريمتها أن أخاها من جماعة الإخوان المسلمين، وهي شهادة مهمة بخصوص جرائمهم بحق المسلمات!!

٤- «لأنهم قالوا: لا، مذكرات سجنية» **لمحمد عادل فارس**، وفيه يسجل وحشية هذا النظام في فترة مبكرة تمتد من ١٩٧٣ - ١٩٨٠، مما يؤكد عراقة الوحشية للأسديين وأنها ليست ردة فعل!!

٥- مقابلة مع الرياضي العراقي هلال عبد الرزاق نشرتها صحيفة القدس العربي في ١٣/ ٧/ ٢٠٠١، وهي تجربة مروعة لرياضي عراقي أقام في سوريا مدرباً لفريق كرة السلة بنادي الجماهير بحماة في عهد بشار الأسد، فسجن لمدة سنة تقريباً وهو بريء، وروى ما تعرض له وما سمعه وما شاهده في سجون الدكتور بشار!!

وهناك كتب أخرى يضيق المقام عن عرضها.

الملامح الثابتة لوحشية النظام الأسدي:

ورغم أن هذه الكتابات لشخصيات متعددة الجنسيات والديانات والانتماءات، إلا أنها تشترك في وصف ماجرى لها بما يطابق ما يحدث اليوم للشعب السوري على أرض سوريا وتنقله الكاميرات ويشاهده العالم، كما يلي:

* فالاعتداء على القرآن ومنع الصلاة وسب الرب والدين وتأليه حافظ وبشار منهج أصيل لدى هؤلاء الطغاة، ولذلك لم يكن عجيباً منهم مطالبة الناس بعبادة بشار والسجود له والشهادة له بالألوهية كما شاهد ذلك العالم أجمع.

* الاعتداء على الأعراض بتعرية المساجين وطلب عمل الفاحشة بهم وشتم أعراضهم وإجبارهم على ترديد الشتائم بحق محارمهم واغتصاب الفتيات، وخلع الحجاب وتعرية السجينات، هو مماثل لما يرتكبونه اليوم من انتهاك حرمة البيوت واغتصاب الحرائر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* سجن الأطفال وتعذيبهم حتى سمي عنبر الأطفال بعنبر الأبرياء الذي أمضوا فيه عشرات السنين، شبيه بما فعله المحافظ المجرم في درعا ومن ثم الشبيحة بحق الأطفال كحمزة وإخوانه.

* الضرب والتعذيب الوحشي بشكل لم تبلغه حتى أفلام الرعب في هوليود، وهو نظير ما شاهده العالم من إجرام بحق المعتقلين.

* استسهال القتل والمبالغة فيه حيث يقتل يوميا في السجون العشرات، وهو ما ينفذه الأسد وزبانيته يومياً بحق الشعب السوري في الشارع منذ ستة أشهر.

* استغلال السجناء وأسرهم من خلال ابتزازهم مقابل زيارتهم، وقد كانت تسعيرة الزيارة في سجن تدمر الصحراوي كيلوغرام من الذهب مقابل كل زيارة تدفع لوالدة مدير السجن!! وهو ما يحدث اليوم فكثير من الاعتقالات العشوائية تتم من أجل ابتزاز الأهالي لإطلاق سراح معتقليهم.

هذه أبرز سمات العراقة الإجرامية لدى الأسديين وأذنابهم، وهو منهج ثابت لهم منذ أن استولوا على سوريا، ويبدوا أنهم لن يتخلوا عنه لأنه سبب وجودهم وبقائهم.

ولأن هذه الكتب لم تكن متداولة بشكل كبير فقد صُدم العالم بإجرام هذا النظام الذي سيذهب قريبا إلى مزبلة التاريخ مشيعاً بالشتائم واللّعنات.

ثمرة طبيعية لإعلام خبيث

قالوا: أوقفت السلطات الأمنية اللبنانية ٨ أشخاص - بينهم فتيات - للاشتباه بأنهم من عبدة الشيطان، وقالت مصادر قضائية لبنانية إن الموقوفين الـ ٨ كانوا أقدموا على الكتابة على أجسادهم أنفسهم وتعاطي المخدرات؛ ومن المقرر أن يجري القضاء العسكري التحقيق مع الموقوفين.

جريدة البشاير ١٨/ ٩/ ٢٠١١

بق الإخوان البحصة!!

قالوا: موقف الأمين العام لحزب الله اللبناني حسن نصر الله من الثورة السورية التي اندلعت منذ منتصف مارس/ آذار الماضي موقف «غريب وعجيب»، وكيف يدعي الشعبية والمقاومة ويقف ضد الشعب السوري هذا هو «النفاق».

رياض الشقفة

المراقب العام لحركة الإخوان المسلمين في سوريا

محيط ١٠/ ٦/ ٢٠١١

لا يستبعد على الملالي!

قالوا: «إيران أمرت بتخصيص أكثر من ٢٥٠ مليون دولار أميركي من أموال الخمس، لضرب استقرار الأردن، وإساءة سمعته في المحافل الدولية، بوسائل سياسية وإعلامية وأمنية، وأن المخطط يفترض أن يتبلور واقعا بالتزامن مع انطلاق قطار المفاوضات السياسية لانضمام الأردن إلى منظومة مجلس التعاون الخليجي.

.. تشمل تمويل قوى وحركات سياسية أردنية لاستمرار التصعيد والتظاهر والاعتصامات، وضرب اقتصاد البلد من خلال مضاربات وهمية لبيع وشراء شركات، أو التسبب بفشل استثمارات خليجية، لهز ثقة الحكومات الخليجية بالاستقرار والبيئة الآمنة بالأردن».

موقع «أخبار بلدنا» ٧/ ٩/ ٢٠١١

أهل السنة يطالبون الملالي مساواتهم بالأمريكان!

قالوا: «إن تبريرات السلطات الرسمية بشأن الإفراج عن الأميركيين، كانت أن إطلاق سراحهم جاء لأسباب إنسانية، في حين أن الإنسانية الإيرانية يحُرم منها السجناء الأحوازيون وعلى رأسهم أمين عام المنظمة العربية لتحرير الأحواز الأسير فالح عبدالله المنصوري وقد ناهز عمره الستين».

خالد الزرقاني

مسؤول اللجنة المركزية في «المنظمة الإسلامية السُنية الأحوازية»

البينة ٢٥/ ٩/ ٢٠١١

الشناقطة والرطانة الفارسية!!

قالوا: «وصل أحمدي نجاد إلى نواكشوط لبضع ساعات في ١٩ أيلول في أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس إيراني لموريتانيا، وكان في استقباله الرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز في المطار وأجرى معه محادثات على انفراد تناولت التعاون الثنائي بين البلدين.

ويتضمن جدول أعمال الزيارة محادثات موسعة مع أعضاء الوفدين الإيراني والموريتاني وغداء رسميا والتوقيع على بعض اتفاقيات التعاون وفق دبلوماسي موريتاني لم يوضح طبيعتها.

ويربط البلدان اتفاق أبرمه الرئيس ولد عبد العزيز خلال زيارته لطهران نهاية ٢٠١٠، ينص على بناء إيران ميناء صيد بحري في موريتانيا ومعالجة السمك والمراقبة البحرية والساحلية.

كما إن الحكومة الإيرانية منحت عبر البنك الإيراني للتنمية والتصدير قرضا لإنجاز مشاريع عدة في موريتانيا منها النقل الحضري وبناء طرق وسدود من أجل إدارة أفضل للمياه في المناطق الزراعية».

السبيل ٢٥/ ٩/ ٢٠١١

النفوذ الإيراني بالعراق وهْم!!

قالوا: «يوجد ٥٠٠ شركة إيرانية تعمل لصالح فيلق القدس الإيراني، بصفة أنها شركات تجارية، وتم التعاقد معها، وبعلم الحكومة العراقية».

كريمة داود الجواري، القيادية بائتلاف العراقية

الفرات اليوم العراقية ٢٧/ ٨/ ٢٠١١

الفساد الشيعي بالعراق خرافة!!

قالوا: «من أهم ملفات الفساد أجهزة كشف المتفجرات وملف الطائرات الكندية، إضافة إلى إعمار مدينة الصدر ومدينة شعلة الصدرين وموضوع جامعة البكر وبناء الفنادق لوزارة الخارجية التابعة للقمة العربية، وموضوع بناء المدارس والمستلزمات المدرسية وطباعتها وبناء المساكن في الأهوار.

وكان مدير عام مديرية المتفجرات اللواء جهاد الجابري اعتقل على إثر ملفات فساد بملف أجهزة كشف المتفجرات. وحجزت الموجودات العراقية في كندا وبينها عشر طائرات ركاب «سي آر جي» تم التعاقد بشأنها العام ٢٠٠٨ لقاء ٤٠٠ مليون دولار، تسلمت بغداد واحدة منها فقط».

بهاء الأعرجي

رئيس لجنة النزاهة النيابية في العراق

وكالة الصحافة الفرنسية ٢٣/ ٩/ ٢٠١١

حاميها حراميها

قالوا: «هدد الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد خلال حضوره جلسة لمجلس الشورى الإيراني بالانتحار إذا ثبتت ضده الاتهامات بالتورط في عملية اختلاس ٣ مليارات دولار من ٧ بنوك، قام بها أحد مساعديه باسم أمير خسروي صاحب شركة «آريا» التجارية الحكومية التي لها مكاتب تجارية في إيران وأوروبا، وهناك ٣٤١ مرجعاً دينياً ضمن المتهمين.

ورداً على نجاد قال النائب أحمد توكلي: لا تنتحر رجاء، قدّم استقالتك أفضل وارحل بكرامتك الآن، لأن جميع الوثائق الموجودة لدينا تُدينك بالتورط في عملية الاختلاس من بيت المال»!

القبس ٢٢/ ٩/ ٢٠١١



مؤتمر الصحوة الإسلامية في طهران هل يعوض خسارتها في الشارع العربي والإسلامي؟

أسامة شحادة(*) – الغد ٢٠١١/٩/٢٣

شهدت العاصمة الإيرانية طهران خلال الفترة ١٧-١٨ أيلول/ سبتمبر الجاري فعاليات المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية والذي حظي برعاية رسمية على أعلى مستوى، حيث افتتحه المرشد الإيراني علي خامنئي بكلمة امتدح فيها الثورات العربية التي زعم أنها استلهمت الثورة الخمينية لكنه في كلمته تجاهل الثورة القائمة في سوريا، كما عُين مستشار خامنئي، علي أكبر ولايتي، أمينا عاما للمؤتمر، وألقى الرئيس الإيراني نجاد، كلمة في جلسة الافتتاح وكذلك وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي، رغم أن ولايتي أمين عام المؤتمر كان قد أكد عدم وجود تمثيل حكومي فيه، وأن جميع المشاركين هم من الشخصيات المستقلة!!

وهذا المؤتمر طرحت فكرته في الدورة التاسعة من الملتقى الفكري للممثلين الثقافيين الإيرانيين في الخارج، ويعرف الخبراء بالشؤون الإيرانية أن الملحقيات الثقافية في السفارات الإيرانية تعد من أنشط أذرع جهاز نشر التشيع وتصدير الثورة في العالم مما يفضح حقيقة هذا المؤتمر.

عقد المؤتمر بمشاركة ٦٠٠ شخصية من خارج إيران و٤٠٠ شخصية إيرانية من ٨٠ بلداً، لكن الغريب أن المؤتمر رغم أنه يحمل اسم الصحوة الإسلامية لم يُدعَ إليه أية شخصية سلفية برغم أن الدعوة السلفية هي مُكوّن رئيس في الصحوة على مستوى العالم، وأيضاً فإن غالب جماعات الإخوان المسلمين لم تشارك في المؤتمر وخاصة الجماعة الإسلامية بلبنان، أما حركة حماس فقد تغيب عن المؤتمر رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل وحضر نائبه موسى أبو مرزوق في رسالة واضحة – للمتابعين – بعد تصادم مواقفهما من جرائم النظام السوري وتقنين الدعم الإيراني للحركة، وكان الدكتور محمود غزلان عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان بمصر صرح أن الجماعة أرجأت مشاركتها لحين تحسن العلاقات المصرية الإيرانية، كما أن «الجماعة الإسلامية المصرية» اعتذرت عن المشاركة، بينما رفض تنظيم «الجهاد» المصري المشاركة بسبب المواقف الإيرانية المخزية تجاه المذابح الطائفية بحق الشعب السوري، وقد غاب عن المؤتمر الكثير من الجماعات الإسلامية العريقة فلم تُظهر أخبار المؤتمر مشاركة أي شخصية خليجية أو سورية أو أردنية أو يمنية سنية لها حضورها.

أما أبرز المفارقات فكان تغييب ممثلين حقيقيين لأهل السنة الإيرانيين عن جلسات المؤتمر التي اتسعت لـ ١٠٠٠ شخص من ٨٠ بلداً، لكنها ضاقت ببضعة أفراد إيرانيين لأنهم من أهل السنة فقط، ولذلك وجّه نشطاء أهل السنة في إيران عبر وسائل الإعلام رسالة مفتوحة إلى المرشد خامنئي، بالتزامن مع

(*) كاتب أردني.

بداية المؤتمر طالبوه فيها بإزالة التمييز الديني الذي يعانون منه في إيران قبل توصية الآخرين بالاهتمام بتجنب الخلافات الطائفية والقومية والعرقية، ووجهوا سؤالاً للمشاركين في المؤتمر: «كيف تقبل شعوب المنطقة وغالبيتها من أهل السنة بأن يصبح النظام الذي يمنعهم من بناء مسجد أو إقامة الصلاة في العاصمة، أسوة لهم»؟

وذكروا في رسالتهم: أنه قدم «٣٠٠ عالم من أهل السنة في كردستان، وعدد آخر من العلماء مطالب للاجتماع مع القائد المعظم، لكنه لم يرد عليها»!!

وأما محاور المؤتمر فقد أوضح ولايتي أن المشاركين فيه سوف يناقشون خمسة محاور رئيسة، وهي: أسس ومفاهيم الصحوة الإسلامية، ودور الأشخاص المؤثرين فيها، وتعريف التيارات، ودراسة المخاطر التي تهدد الصحوة الإسلامية، وتوحيد صفوفها، بالإضافة إلى مناقشة أهداف وتداعيات الصحوة الإسلامية ومستقبلها.

والمعلوم أن مصطلح «الصحوة الإسلامية» يراد بها الظاهرة الإجتماعية التي تعنى عودة الوعي للأمة وإحساسها بذاتها واعتزازها بدينها والتي عمل في سبيلها الدعاة المستقلون والحركات الإسلامية من السنة، ولكن مؤتمر طهران تجاهل هذا كله وحاول أن يفرض على أرض الواقع أن من شارك فيه هم هم قادة الصحوة، وإذا تأملت في المشاركين وجدت أن المؤتمر حرص على زج الجماعات والأحزاب الشيعية التي ليست لها صلة بالصحوة الإسلامية أصلاً لتصبح مكوناً رئيسياً للصحوة الإسلامية، إنها محاولة إيرانية جديدة لسرقة بساط الصحوة بعدما سرقت بساط الجهاد والمقاومة من قبل.

والملفت للنظر أن إيران تذكرت الصحوة الإسلامية بعد ٤٠ سنة على ظهورها، وطوال هذه السنوات لم تكن الصحوة تعني لها شيئاً!! ومن جهة أخرى شكلت مشاركة شخصيات علمانية مثل أحمد جبريل، زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ورئيس اليمن الجنوبي السابق علي ناصر محمد، وهما من خلفيات فكرية لينينية ماركسية، في مفارقة عجيبة تظهر حقيقة الصحوة الإسلامية الإيرانية.

وفي نهاية المؤتمر تم الاتفاق على «تأسيس (المجمع العالمي للصحوة الإسلامية) وأن تستضيف طهران الأمانة الدائمة للمؤتمر لضمان استمرار حركة الصحوة الإسلامية وشموخها عبر تعزيز الاتصالات والتعاون ونقل التجارب»، وأن هذه الأمانة ستتابع قرارات المؤتمر والاجتماعات التخصصية له وتقوم بالإعداد والتحضير لعقد مؤتمرات دورية للصحوة الإسلامية وتنظم عملية التواصل المستمر بين المفكرين والمثقفين من العالم الإسلامي، مما يكشف عن حقيقة المؤتمر والغاية والدور المطلوب منه مستقبلاً كأحد الأدوات الإيرانية، ومما يؤكد هذا هو تفحص البيان الختامي الذي صدر عن المؤتمر والذي جاء مطابقاً لكثير من كلمات المشاركين التي مجدت الثورة الإيرانية ورموزها والفكر الشيعي مثل كلمة كمال الهلباوي ود. مها الدوري أو الكلمات التي أيدت سياسة إيران في دعم النظام السوري ضد الثورة السورية مثل كلمة أحمد جبريل.

جاء في البيان الختامي: «أكد المؤتمرون على ما يلي:

* إن انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة سماحة الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه» مجدد الإسلام العظيم في التاريخ المعاصر، والتي واصلت مسارها بقيادة سماحة آية الله العظمى الخامنئي، فتح مرحلة جديدة، لتطوير موجة الصحوة الإسلامية على مستوى العالم الإسلامي وبرهن للجميع إمكانية استعادة العزة والقدرة الإسلامية المهدورة لجميع الشعوب على أساس التعاليم الدينية والالتزام بالقيم الإسلامية السامية والدفاع عن كرامتهم الإنسانية بكل قوة..

اتفق المشاركون في المؤتمر على مايلي:

إذ نثمن غاليا المواقف الحكيمة والتاريخية لقائد الثورة الإسلامية المعظم سماحة آية الله العظمى الخامنئي (مد ظله) الذي كان ولا زال يلعب الدور الاستراتيجي في نمو وازدهار الصحوة نستحسن توجيهاته الجديرة في الدفاع عن حرمة الإسلام والمسلمين في مختلف الصعد ونقر كلمته في حفل الافتتاح باعتبارها منطلقا أساسياً وخارطة طريق في هذا المضمار» أ.هـ.

إن هذا المؤتمر يجيء ضمن خطوات إيران الرامية لتعويض خسارتها في الشارع العربي والإسلامي بعد أن فضحت ثورة المعلومات والاتصالات حقيقة فكرها ومبادئها التي قامت عليها وفضحت أيضاً مواقفها الانتهازية والمخزية بالوقوف مع المحتلين والطغاة ضد الشعوب المسالمة، فالفضائيات والمواقع والمنتديات الشيعية والإيرانية قدمت الصورة الحقيقية للمعتقدات الشيعية المغالية التي تؤمن بها قطاعات كبيرة وأساسية في إيران ولدى حلفائها، كما أن الثورة الإعلامية اليوم تجاوزت حالة التعتيم الإعلامي التي شيدت عليها إيران نفوذها، فقد توالت المواقف التي أظهرت الحرص الإيراني على مصالحها الذاتية والمتناقضة مع المصالح الإسلامية العامة والعليا مثل:

* موقف إيران الانتهازي من دعم الاحتلال الأمريكي للعراق والتخاذل عن دعم المقاومة كان هو الشرارة التي نبهت البعض.

* السكوت عن المجازر بحق العراقيين والفلسطينيين في بغداد والتي قامت بها الميلشيات الشيعية بدعم إيراني.

* الموقف الهجومي الظالم لإيران ووكلائها ضد الشيخ يوسف القرضاوى حين انتصر للحق برفض نشر التشيع في البلاد السنية، ورفض التطاول على الصحابة وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم.

* تأييد النظام السوري الأسدي في قتله وتعذيبه لشعبه.

هذه المواقف وغيرها أفرغت شعارات إيران القديمة من مضمونها مثل شعار (الوحدة الإسلامية) وشعار (التقريب بين المذاهب الإسلامية)، والتي أنشأت لها مؤسسات ترعاها وتقوم على تنفيذ أجندتها، وها هي اليوم تلجأ لشعار جديد وهو «الصحوة الإسلامية» وتنشئ له مؤسسة جديدة، فهل تضحك إيران علينا من جديد؟ أم أن أمتنا فهمت الخدعة الإيرانية؟؟

محاولة إيرانية أخرى للضحك على أذقان السذج! (المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية)

د. مصطفى محمدي(*)

كانت إيران ترى نفسها اللاعب الأول والعريف الذكي الذي لا ينافسه أحد في المنطقة، وقد استطاعت أن تضحك على الشارع العربي وعلى معظم الجماعات الإسلامية والقيادات والنخب التي يجذبها البريق الخادع للشعارات الزائفة عن الوحدة الإسلامية والثورة والمقاومة وغير ذلك مما تعلقت به الشعوب المنكوبة. لكن أحداث العراق كشفت عن النزعة الدموية والطائفية التي ترسخت في الضمير الصفوي لقادة إيران.

ثم تبعتها أحداث البحرين بما صاحبها من الموسيقى الإيرانية الصاخبة ومسرحية تظلم الثكالى واليتامى والأرامل في الإعلام الطائفي والبوق الصفوي الذي أزعج العالم ضجيجه.

ثم كانت سوريا قاصمة الظهر لإيران وحزب الله، فقد تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى لمن امتلأ حمقا وسذاجة في الشارع العربي والإسلامي.

فقد كان من المتوقع لمن عايش العقلية السياسية الإيرانية

(*) كاتب إيراني سني.

أن تسعى إيران لمحاولة الضحك على الأذقان الساذجة مرة أخرى، ولتغيير وجوه بعض المرتزقة ولشراء ذمم أخرى في العالم عسى أن تعود المياه إلى مجاريها، ولا سيما أنها تدرك تماما بأن المنطقة تخلو من إعلام ذكي ينافس إعلامها الجبار وأن صوتها سيدخل جميع الآذان وهي قادرة على إثارة العواطف في العقول الخاملة - وما أكثرها!- لأن ذاكرة الشعوب العربية سرعان ما تنسى!

أقامت إيران في عاصمتها مؤتمرا سمته بـ «المؤتمر الدولي الأول للصحوة الإسلامية» في ١٨-١٩ شوال ١٤٣٢هـ/ ١٧ - ١٨ سبتمبر ٢٠١١م تحت قيادة أبرز وزراء الخارجية منذ بداية الثورة وأيام الحرب الضروس مع العرب في الثغور العراقية؛ الدكتور علي أكبر الولايتي، وأنشأ المؤتمر له صفحة إخبارية رسمية باللغات العربية والإنجليزية والفارسية بجانب التغطية الإعلامية العالمية الضخمة.

زعم الإعلام الإيراني بأنه شارك في المؤتمر ٦٠٠ من مفكري العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا و٤٠٠ من مفكري إيران، وقاطعت ولأول مرة كبرى الجماعات الإسلامية وصاحبة الحضور الأكبر في الشارع العربي والإسلامي والداعية للوحدة والإصلاح «جماعة الإخوان المسلمين» هذا المؤتمر لما لاحظته من نزعة طائفية وأهداف مشبوهة واستغلال الحركة الإسلامية لصالح الأهداف الصفوية والسلطوية والاستعمارية.

ولم يشارك من الخط المعتدل في المؤتمر إلا الأمير السابق للجماعة الإسلامية بباكستان «قاضي حسين أحمد» - بعد أن زاره السفير الإيراني شخصيا أكثر من مرة وقدم له دعوة للمشاركة – بحجة أنه يبلغ صوت الحق من خلال منبر المؤتمر، وقد اشترط ضم القضية السورية في أعمال المؤتمر إلا أن أصحاب المؤتمر استطاعوا إقناعه بأن أسماء الثورات كلها ستحذف من القائمة وتدرس الثورات من دون تحديد أسماء الدول!

ركز «قاضي حسين أحمد» وعدد آخر ممن حضروا المؤتمر بنية الإصلاح في كلماتهم على الابتعاد عن ازدواجية المعايير والوقوف بجانب الشعب السوري. وكان جزاؤهم أن حذفت كلماتهم من الإعلام الصاخب ولم تذكر أسماؤهم ضمن قائمة أبرز الوجوه المذكورة في الدعاية الإيرانية التي اختصرت على:

عمار الحكيم؛ رئيس المجلس الأعلى الإسلامي – العراق، إبراهيم الجعفري؛ رئيس الوزراء العراقي الأسبق، مجيد الشيخ سفير العراق في طهران، نعيم قاسم؛ نائب الأمين العام لحزب الله اللبناني، فهمي هويدي الكاتب المصري، مع نخب من أوروبا وأمريكا والبحرين واليمن والسعودية لم تذكر أسماؤهم!

وغياب الصف الإسلامي الأول، والقيادات البارزة في الثورات العربية كان أمرا ملاحظا جدا في المؤتمر، فكل الوجوه كانت مغمورة، وقد اضطر الإعلام الإيراني أن يفسر غيابهم بأنهم لم يحضروا لئلا يستغل الغرب والإعلام الغربي صلاتهم الخفية مع إيران في الضغط عليهم!!

مع أن بعض المواقع التابعة للمخابرات الإيرانية صرحت بأن من أبرز أهداف المؤتمر تحجيم الدور التركي في المنطقة، وعدم السماح له بمنافسة إيران، وحاول إعلام المؤتمر تشويه صورة تركيا بمقالات تبين حقيقة الوقفة التركية في وجه إسرائيل»، إلا أن الخط العام في المؤتمر كان طائفيا يحاول استفزاز المنطقة، فقد خصص إعلام المؤتمر في موقعه الخاص صفحة لكل البلاد التي فيها ثورات استلهمت الثورة الخمينية في إيران – حسب زعمهم – : السعودية – اليمن – فلسطين – البحرين – مصر – ليبيا!

وقد كان حجم ما خصص للبحرين ٦ صفحات، أما عناوين أخبار كل من السعودية ومصر فـ ٣ صفحات، واليمن

صفحتان، في حين حظ كل من فلسطين وليبيا لم يتجاوز صفحة واحدة!

«الصحوة الإسلامية» التي مثلت شعار المؤتمر لم تجد إلا صفحتين بجانب صفحة للمقالات والتحليلات وأخرى للمقاومة الإسلامية، أبرز ما فيها: معاداة إيران وسوريا جهل وحقد وانتحار غبي!

الصور التي نشرها الموقع كشفت بكل وضوح النزعة الطائفية لأصحاب المؤتمر، كما يلي:

٢٧ صورة عن العدوان الإسرائيلي، وقد تم اختيارها بطريقة ذكية؛ وهي عبارة عن صور هجوم الجيش الإسرائيلي على المدنيين في: الحدود السورية في مسرحية النظام السوري يوم أن وجه رسالة صريحة إلى إسرائيل مفادها: ذهابنا يعني مجيء الشعب وذهاب الليالي الحمراء عن إسرائيل!!

٣٢ صورة عن البحرين: ١٩ منها تحت عنوان: أحفاد يزيد يحرقون منزل أحد المواطنين في السنابس، و١٣ صورة تحت عنوان: هدم الأماكن المقدسة والمساجد في البحرين.

وفي محاولة يائسة لمرشد إيران علي الخامنئي للوصول إلى عاطفة الشعب المصري – من وراء غياب الوجه الإخواني – ذكر في كلمته أنه كان ينتظر ثورة في مصر منذ زمن طويل وكان يردد في نفسه بيتا لأبي فراس:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ***
أما للهوى نهي عليك ولا أمر

وكأن الشعب المصري كان في غفلة من أمره إلى أن وقف في ميدان التحرير وسمع المرشد الإيراني استجابة المصريين له:

بلى أنا مشتاق وعندي لوعة
ولكن مثلي لا يضاع له سر!

وقد كانت استشهاداته في غاية السذاجة وبعيدة عن الموضوع تماما، وظل المعنى في بطن قائله!..

دعونا نتصفح في الموقع الرسمي للمؤتمر لندرك أهدافه الطائفية والصفوية ونزعته في الدعوة لإشعال حرب شعواء في المنطقة:

تقرأ في الصفحة الرئيسة باللغة العربية:

- حرب اتهامات بتمويل سعودي وأميركي تشتعل بمصر.
- السعودية تصارع موقف الثورات.
- السعودية تصفي حساباتها مع مصر وتسعى لتشويه الثورة.
- كيف أحبطت السعودية الثورات في اليمن والبحرين.

و تقرأ في الواجهة الرئيسية الفارسية:

- تجمع عشرات الألوف من السنة والشيعة في مظاهرة إرادة الشعب.
- اليوم نفخ دم شهدائنا (شهداء الثورة الخمينية) حياة جديدة للأمة الإسلامية.
- مواجهة الثورة البحرينية بالسلاح الأمريكي.
- علي عبدالله صالح ترك أمره على السعودية وتوكل عليها تماما.
- البحرينيون يسعون إلى ميدان الشهداء.
- هتف البكاؤون في كربلاء : الموت لآل سعود.
- دموية الوهابية في صلاة العيد الشيعية في باكستان.

وتحت موضوع «الأيادي النجسة» في الصفحة الرئيسة تقرأ:

- اقتربت نهاية الوهابية؛ في مواجهتهم للشيعة والسنة.
- خوف النظام السعودي من دور مصر.
- طمأنة واشنطن السلطة السعودية.
- ٣٠ شهيداً في هجوم الوهابية على زوار الأئمة

و تقرأ في الصفحة المخصصة للسعودية موضوعات كثيرة من أبرزها:

- الأجدر بالسعودية إرسال قواتها لتحرير جزيرتيها من

الصهاينة بدل البحرين

- أميرة سعودية: المملكة غير محصنة أمام رياح التغيير
- السعودية تقمع المعارضة بذريعة مكافحة الإرهاب
- صحف سعودية تدعم الإرهاب بأموال عراقية
- تنظيم سري سعى للاستيلاء على السلطة بالسعودية
- السعودية تمول جماعات وقبائل لقتل الحوثيين
- النفط لا يجلب لآل سعود الأمن ولا يحول دون السخط الشعبي

تعني «الصحوة الإسلامية» في عقول أصحاب المؤتمر:

١. محاربة السعودية بشتى الأساليب

٢. تشويه الثورة السورية واعتبارها ثورة صهيونية (مقالة: دور الصهاينة في أزمة سوريا)

٣. تضخيم الفتنة البحرينية وجعلها أم الثورات العربية. وقد سيطرت على ٨٠٪ بالمائة على أعمال المؤتمر!

واستهدف المؤتمر:

١. صناعة وجوه بديلة عن الوجوه القديمة المتعاطفة مع إيران.

٢. تخدير الشارع العربي الإسلامي بشعارات جديدة والسعي لحذف الذاكرة القديمة.

٣. محاولة الركوب على الثورات العربية وخطف بعض ثمارها والبحث عن موطن قدم بين الشعوب الثائرة في مستقبل هذه البلاد.

مكتب إرشاد الإخوان العالمي يناقش مقاطعة إيران

موقع البوصلة - ٢٠١١/٩/٢٠

أكدت مصادر مطلعة بان مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين سيناقش في اجتماعه المنتظر عقده خلال الأيام القليلة المقبلة مقترحاً قدّمه المكتب التنفيذي لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن يقضي بمقاطعة جميع التنظيمات الإخوانية لمؤتمر نصرة فلسطين الذي ستنظمه إيران في شهر تشرين أول المقبل، والذي حشدت له القيادة الإيرانية هذا العام، في محاولة منها لاستدراك حالة الاحتقان ضدها بسبب موقفها المؤيد للنظام السوري في مواجهة شعبه.

وعلمت مصادر لـ«البوصلة» أن المكتب التنفيذي لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن كان قد اتخذ قراراً خلال الشهر الماضي يقضي بمقاطعة جميع الأنشطة التي تدعو إليها السفارة الإيرانية في عمان، حيث قاطعت الجماعة الاحتفال السنوي الذي نظمته السفارة الإيرانية في الجمعة الأخيرة من رمضان، فيما يُعرف بيوم القدس العالمي، كما أنها أبلغت السفارة الإيرانية رفضها لحضور مؤتمرين دعت لهما القيادة السياسية في إيران، أحدهما نصرةَ لفلسطين، والآخر للثورات العربية، وهو ما أثار سخط السفير الإيراني في عمان الدكتور مصطفى زادة، الذي أبلغ بدوره وزارة الخارجية الإيرانية بهذا الموقف.

وتقول المصادر إن إيران بدأت حملة علاقات عامة لمحاولة معالجة الخلل الذي أحدثه موقفها من الثورة السورية، والذي لم يعد مقنعاً للشعوب العربية والإسلامية، خصوصاً وأن موقفها المؤيد والداعم للمعارضة البحرينية، بدا وكأنه موقف طائفي بامتياز، فهي تؤيد التغيير في البحرين لأن المعارضة شيعية، وتعرض التغيير في سوريا لأن النظام ذو صبغة طائفية أقرب إليها.

وتشير المصادر إلى أن تصريحات الرئيس الإيراني نجاد ووزير خارجيته علي أكبر صالحي التي تضمنت نقداً ضمنياً لموقف النظام السوري تأتي في سياق المعالجة، كما أن الرئيس الإيراني قام بالاتصال الهاتفي خلال أيام عيد الفطر برئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، وهنأه فيها بحلول عيد الفطر من ناحية، وأكد فيها من ناحية أخرى على دعم

إيران المطلق للمقاومة الفلسطينية وذلك في أعقاب الأنباء التي تسربت عن توقّف إيران عن دعم حركة حماس وحكومتها في غزة منذ اندلاع الثورة السورية، ما فُهم على أنه رسالة احتجاج إيرانية - سورية على موقف حماس، الذي لم يعلن تأييده للنظام السوري كما فعل أمين عام حزب الله حسن نصر الله.

وأضافت المصادر أن قيادات بارزة في الحركات الإسلامية منها الإخوانية، ترى أن الموقف الإيراني لا يزال غير كافٍ، وأن المهم هو الجانب العملي، حيث تفيد تقارير موثوقة أن إيران تشارك عبر فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني في «خلية أزمة» تدير المعركة ضد الشعب السوري إلى جانب الأجهزة الأمنية السورية وحزب الله، وترى هذه القيادات بأنه لا بد من ممارسة كل الضغوط على إيران لإجبارها على تغيير هذا الموقف «المشين» وفقا لهذه القيادات.

وتؤكد أوساط إيرانية بان وزارة الخارجية رفعت تقريراً إلى مرشد الثورة علي خامنئي، ورئيس الجمهورية أحمدي نجاد تشير فيه إلى أن شعبية إيران وحزب الله تراجعت في العالم العربي والإسلامي نتيجة موقفيهما من الأحداث التي تجري في سوريا، وأن هناك حالة من الاستياء والغضب الشديدين تسودان أوساط الحركات الإسلامية، خصوصاً الإخوانية منها.

دلالة "الشريعة" في برامج الأحزاب السلفية المصرية

علي عبد العال(*) – الرسالة أونلاين ٢٠١١/٩/٢٥

تفاوتت الأحزاب السلفية في تعاطيها مع قضية «الشريعة الإسلامية» من خلال نصوص البرامج التي قدمتها للحصول على شرعية مزاولة العمل السياسي، وإن اتفقت جميعها في التأكيد على ضرورية تحكيم الشريعة في مصر ما بعد الثورة وإزالة كل العوائق في طريق ذلك.

ويتأكد لمن يطالع برامج الأحزاب السلفية أنها جميعا تضع الشريعة الإسلامية بكافة أحكامها ومبادئها موضع لا مجال لمنازعة قدسيته، لكنها .في الوقت نفسه .لا تراها نصوصا جامدة، كما كان يظن البعض، ولم تقصرها على الحدود، بل منهج كامل لكل مناحي ومجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.. إلخ. ذلك أن العمل السياسي وسيلة لا غاية والهدف منه .كما ترشد الأدبيات السلفية. تعبيد الناس لرب الناس وتطبيق أحكامه بين البشر.

الشريعة في برنامج حزب «النور»

ينص برنامج حزب «النور» على الالتزام بالمادة الثانية من الدستور المصري، التي تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، واعتبارها (المادة الثانية) «مرجعية عليا للنظام السياسي للدولة»، وأيضًا «نظاماً عاماً وإطاراً ضابطاً لجميع الاجتهادات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والقانونية».

وانطلاقا من هذا النص العام يؤكد الحزب على شرعية أن تكون الشريعة الإسلامية ماثلة في كل الشؤون ومناحي الحياة، ففي التفصيل يوضح برنامج النور «ضرورة تحقيق الديمقراطية في إطار الشريعة الإسلامية»، و«المحافظة على الحقوق الأساسية والحريات العامة في إطار من الشريعة الإسلامية»، وفي الاقتصاد يطالب بـ«تفعيل مؤسسات الزكاة والوقف»، و«التوسع في صيغ التمويل الإسلامية المبنية على المشاركة في الأرباح وفي الإنتاج، بدلاً من النظام الربوي القائم على الفائدة»، وهو ما يتطلب تعديل قوانين اقتصادية، ومنها «قانون البنوك والإقراض».

وفي شأن الرؤية المغلوطة اجتماعيا عن المرأة ودورها في المجتمع يطالب الحزب بإطلاق حملات تثقيف إعلاميَّة

(*) كاتب مصري.

واجتماعيَّة ودينيَّة، تعمل على تصحيح الصورة الذهنية السلبيَّة للمرأة، والتحذير من ظلمها والافتئات علي حقوقها، على أن تستند تلك الحملات إلى «المبادئ والقيم الأخلاقيَّة النابعة من التَّعاليم الإسلاميَّة».

وفي شأن الموقف من غير المسلمين في المجتمع المصري يرى الحزب في الإقرار بأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ما «يتضمن تأمين الحرية الدينية للأقباط، وإثبات حقهم في الاحتكام إلى ديانتهم في أمور الأحوال الشخصية الخاصة بهم»، أما غير ذلك من أمور الحياة بكل أنواعها، والنظام العام والآداب «فقانون الدولة يسري على المواطنين كلهم، ولا يصح لأحد أن يخرج عنه».

ويؤكد أكبر الأحزاب السلفية وأولها حصولا على الشرعية القانونية بعد الثورة على دور المؤسسة الدينية الرسمية «الأزهر» في التوجيه والإرشاد لما للأزهر من تأثير كبير، فينص برنامج «النور» على كون الأزهر ركن أساسي وعامل مهم في «تشكيل الفكر والوعي العام للأمة».

ونظراً لتراجع الأزهر ومؤسساته في العقود الأخيرة، فإنه من الضروري أولا استعادة دور الأزهر، وفي سبيل ذلك يرى الحزب الذي بات يمثل الذراع السياسية لـ«الدعوة السلفية» ـ المدرسة السلفية بالإسكندرية .عدم ربط شيخ الأزهر، ومشيخة الأزهر، وجامعة الأزهر بالقيادة السياسية في مصر، «فلا يصح أن تكون بوقاً لها، وأداة من أدواتها»، أياً كان نوع النظام السياسي، إذ أن الأزهر ينبغي أن يظل مستقلاً، لأنه كلما زادت قوة الأزهر ونفوذه زادت قوة مصر بالضرورة.

ما سبق يؤكد على رغبة الحزب في ألا يظل الموقف من الشريعة الإسلامية هو ذلك الموقف القديم الذي كرسه النظام السابق من النصوص الشرعية.بالرغم من وجود المادة الثانية . فتركها جامدة لا أثر لها على حياة الناس لكن يضع حزب «النور» من خلال برنامجه منهجا ـ في حال طبق .يجعل الشريعة حاضرة في كل قضايا وشؤون الناس.

الشريعة في برنامج حزب «الأصالة»

على عكس «النور» اكتفى حزب «الأصالة» ـ وهو الثاني في ترتيب الأحزاب السلفية من حيث الحصول على الاعتراف القانوني .اكتفى بالحديث في عموميات تدلل على التزامه أحكام الشريعة الإسلامية في كل الأمور والشؤون لكن لم يشأ أن يفصل في هذه الرؤية أو أن يوضح كيف سيعكسها على قضايا المجتمع المختلفة.

فينص برنامج الأصالة على أن «النبع الرئيسي للقيم المصرية الأصيلةٌ هو تعاليم الدين الإسلامي»، ولذلك يقدم الحزب نفسه بوصفه «حزب سياُسي ذو مرجعيةٌ إسلاميةٌ في إطار الدستور»، ويضيف أيضا نحن نرى أن كل القيم الكريمة التي نريدٌها أن تكون متأصلة في الشعب المصري مثل الصدق والأمانة والتسامح إنما هي «مستقاة من الشريعة الإسلاميةٌ». تلك الشريعة التي يرى «الأصالة» في كونها المصدر الرئيسي للتشريع ضمان العدل لجميع طوائف الشعب مع حفظ حق غير المسلمين في التحاكم إلى شرائعهم فيما يخص أحوالهم الشخصيةٌ.

وفي باب (الحقوق العامة والأساسية للمواطنين) يرى ثاني الأحزاب السلفية والذي يمكن اعتباره ذراعا سياسيا للسلفية الحركية في القاهرة أن العدل والمشروعية وسياُدة القانون هم الثوابت الأساسيةٌ لإقامة دولة مصريةٌ متقدمة قويةٌ عزيزٌة تصون حقوق المواطنين وحرياُتهم «في إطار مبادئ الشريعة الإسلاميةٌ». ولذلك يضع الحزب على رأس أهدافه إيجاد تنميةٌ فكريةٌ اجتماعيةٌ وخلقيةٌ عن طريقٌ الرفع من قيمة التقاليد الحسنة وتزكية النفوس وإعلاء قيمة العادات الكريمة التي هي «مستقاة من الشريعة الإسلامية».

حزب «الفضيلة» ومفهومه للشريعة

في بداية برنامجه أستدعى حزب الفضيلة مقولة من التراث

الإسلامي للفاروق عمر رضي الله عنه «تعتبر أساساً للحكم الرشيد العادل»، على حد قوله، إذا سأل أحد ولاته على أحد الأقاليم وقال له: ماذا تفعل إذا جاءك سارق؟ قال الوالي: أقطع يده، فقال الفاروق: إذا فإن جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف أقطع يدك. وأردف قائلاً إن الله سبحانه وتعالى استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوفر لهم حرفتهم فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها يا هذا إن الله خلق الأيدي لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

وهو ما يمكن أن يدلل على أن للحزب رؤية يراها في أحكام الجنايات الموجودة في الشريعة الإسلامية ينبغي النظر إليها قبل الإسراع إلى تنفيذ الأحكام على الناس وهي تلك المتمثلة في دور الدولة وما يمكن أن تتخذه من تدابير لحماية مواطنيها من الانحراف واللجوء إلى طرق الحرام. ففي تراثنا الإسلامي .كما جاء في البرنامج .«ما يدل على كفالة الدولة لمواطنيها بل إن الأمر لم يتوقف عند حد الكفاية وأن تجاوز ذلك حد تحقيق الرفاهية للناس جميعا». وهنا يستشهد الحزب بنصوص التراث وآثار الخلفاء الراشدين، فقد: «جاء على لسان الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلي أحد ولاته : «أن اقضوا عن الغارمين»؛ أي أدوا عنهم دَيْنَهم، فكتب إليه: «إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث»، فكتب إليه عمر: «إنه لا بد للمرء المسلم من سكن يسكنه، وخادم يعينه، وفرس يجاهد عليه.. اقضوا عنه فإنه غارم».

وهذه المعاني لا يجعلها الحزب وقفا على المسلمين من المواطنين في الدولة الإسلامية بل يرى أن «معاني الشريعة الإسلامية لا تفرق في النظر بين الفقراء المسلمين وغير المسلمين لأن الإنسان يشعر بوطأة الفقر لكونه إنسان». ومن ثم يجب أن يشمل ذلك كل أفراد الوطن دون النظر إلي الجنس أو الدين.

في الاقتصاد يرى الحزب ضرورة «إلغاء الربا» لأنه ناتج عن استغلال حاجات الإنسان الضرورية اللازمة لإقامة حياته الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وتعليم وغيرها. ثم يؤكد على موردين أساسين من الموارد المالية للدولة وهما الضرائب والزكاة. وفي شأن الزكاة يطالب حزب الفضيلة بـ «وضع التشريعات والنظم التي تجعلها في موضع التنفيذ وتحصيلها من الملتزمين بها شرعا»، ومن ذلك «تشكيل هيئة مستقلة لها تسمى مصلحة الزكاة والصدقات تتمتع باستقلالية في النظام الإداري والمالي كمؤسسة من مؤسسات الدولة تخضع لرقابتها وإشرافها.

ويؤكد حزب «الفضيلة» كما أكد حزب «النور» من قبل على دور الأزهر الأصيل كمؤسسة دينية وعلمية في «تكوين المواطن المصري بل والمواطن المسلم في العالم قاطبة». وهو ما يستوجب أن تصبح العناية بالأزهر شاملة من أول السلم إلي قمته وأن توضع الخطط لإصلاحه.

رؤية حزب «الإصلاح» لأحكام الشريعة

تحت عنوان (المرجعية العليا للتشريع) يرى حزب الإصلاح. تحت التأسيس .أن الشعب المصري في غالبيته الساحقة «شعب مسلم، ينحاز للإسلام كشريعة وحضارة وهوية، ولما كانت الشريعة الإسلامية في جوهرها منظومة قانونية مدنية تقيم العدل بين الناس بلا تفريق بين جنس ولون ودين ومذهب؛ فإن من الطبيعي أن تكون هذه الشريعة هي المرجعية الحاكمة للمجتمع المصري»؛ ومن ثم يرى الحزب وجوب «تنقية جميع القوانين مما يتعارض» مع الشريعة الإسلامية.

بل ويطالب الحزب بأن يكون من بين اختصاصات المحكمة الدستورية العليا «إبطال كل ما يخالف نصًا قطعيًا في كتاب الله وسُنَّة رسوله»، صلى الله عليه وآله وسلم، باعتبار أن الدستور يقضي بأن الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع.

وفي المسودة الأولية لبرنامج الحزب يفرد «الإصلاح» مساحة كبيرة للحديث عن (إصلاح الحياة الدينية) لأن الدين هو قوام الشعوب، وقطب حياتها، الذي يحفظ تماسك الأمة وتماسك أجيالها، ويحقق الوازع النفسي الكبير في الولاء الوطني. لذلك يرى الحزب أن الاهتمام بالإصلاح الديني، ينبغي أن يكون في صدارة الأولويات، ويقترح لذلك: ضرورة إعادة النظر في إعداد الدعاة الذين يتقدمون للإمامة والخطابة وتدريس الناس والإفتاء لهم في المساجد. وإبعاد الجهاز الأمني، بكافة أفرعه عن التأثير في اختيارات الأئمة والخطباء والدعاة؛ لأن هذه العملية هي علمية وفكرية ودينية في المقام الأول والأخير. وهو يرى أيضا ضرورة منح الدعاة والعلماء وأئمة المساجد الحصانة القانونية الصريحة ضد العزل الوظيفي أو إبعادهم عن المنابر، بسبب يتعلق بأداء رسالتهم أو مطالبتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية في مصر، فإن منح أئمة المساجد الحصانة يكفل لهم الاستقلال الفكري والرأي الحر في تناول قضايا المسلمين، بعيدًا عن أي تأثيرات سياسية أو أمنية.

وذلك ضمن جملة من المقترحات يقدمها الحزب مثل: عودة الأوقاف الإسلامية إلى الأزهر، لدعم مسيرته واستقلاليته، وأن يكون منصب شيخ الأزهر بالانتخاب من قِبَل علمائه، وليس بالتعيين. كل ذلك حتى يتسنى إعادة الأزهر إلى رسالته الأساسية كمؤسسة حافظة للشريعة ومخرجة لعلماء متخصصين في الفقه وعلوم الدين.

وفيما يتعلق بغير المسلمين ينص برنامج حزب الإصلاح بالتأكيد على أنه «لا إكراه في الدين»، وأن «لغير المسلمين ما للمسلمين، وأن عليهم ما على المسلمين» باعتبارهم مواطنين في وطنهم، «مع مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية وفي حدودها»، وأن لأهل الكتاب حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وأن لهم الحق في الاحتكام إلى شرائعهم فيما يتعلق بالأحوال الشخصية إلا إذا آثروا أن يتحاكموا إلى الشريعة الإسلامية.

في الاقتصاد يحمل الحزب على عاتقه: العمل على إلغاء جميع المعاملات الربوية في الدولة أخذًا وعطاءً، وأن تعمل البنوك وفق نظرية اقتصادية إسلامية شاملة. كما يؤكد على الحرمة الكبيرة في الإسلام للملكية الخاصة؛ فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله، ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ»، ومن ثم فلا يجوز التعرض لها بالمصادرة العامة أو الخاصة، شريطة أن تُكتسب بطريقة مشروعة، وأن يكون استثمارها في أغراض مباحة شرعًا، وأن تكون لخير المجتمع غير محتكرة ولا مستغلة. وإذا كان الإسلام قد أقر الملكية الخاصة وعظَّم من حرمتها، وغلَّظ العقوبات على كل سلوك يستهدف النيْل منها إلا أنه أوجب عليها «بالنص» التزام الزكاة؛ التي تستهدف تحرير الإنسان من عبودية الحاجة.

وفي باب (الثقافة والإعلام والفنون) يرى الحزب: ضرورة وضع ميثاق أخلاقي واضح، مستمد من شريعة المجتمع الدستورية «الشريعة الإسلامية» تلتزم به وسائل الإعلام كافة، ووضع عقوبات رادعة على كل عمل أو تصرف؛ يكون من شأنه خرق هذا الميثاق.

وهنا يستند الحزب إلى ما أفتت به الجمعية العمومية للفتوى والتشريع في مجلس الدولة، بأن الأزهر الشريف هو المنوط به الإشراف والمراجعة لكل ما يتعلق بالشأن الإسلامي في الأعمال الفنية، ويطالب الحزب بأن تكون هذه الفتوى موضع احترام المشرع المصري، مع وضع لوائح صارمة تحمي هذا الإشراف من عبث العابثين، وأن يكون من حق أي مواطن أن يتقدم للأزهر الشريف بشكوى حول أي مما يراه ماسًا بعقيدته أو الأخلاق المستقرة في المجتمع.

وفي شأن المرأة ينطلق حزب الإصلاح من الإيمان بأن الله تعالى قد كرم المرأة، وأن الإسلام وشريعته قد بينت أن لها من

الحقوق ما يجعلها على قدم المساواة مع الرجل، إلا في بعض الحقوق أو الواجبات التي تتعلق بتأمين انتظام العدل الاجتماعي. ولذلك يرى الحزب ضرورة إعادة النظر في مجمل الأوضاع المتعلقة بالمرأة والأسرة «بحيث تكون متسقة مع شريعة المجتمع، ومع هدي القرآن والسنة».

وفي مجال التعليم يطالب الحزب بما وصفه «سرعة التدخل الجراحي» لإعادة الاعتبار للتاريخ الإسلامي، واللغة العربية في مختلف مراحل التعليم. وجعل مادة الدين إجبارية في كل مراحله، ومحاصرة مظاهر تغريب التعليم، وتقنين ظاهرة تراخيص مدارس اللغات، بما يحفظ على أبناء الوطن هويتهم ولغتهم لغة القرآن. وإعادة العمل بنظام الكتاتيب في المرحلة ما قبل الابتدائية، مع العمل على تحديثها ودعمها ماليًا وإداريًا.

حزب التحرير يؤرق الغرب ويسعى لاختراق الجيوش العربية

ميدل أيست أونلاين ٢٠١١/٩/٢٥

في ظل الربيع العربي وثوراته انشغلت معظم أجهزة الأمن العربية بتأثيراته وتداعياته، لكن غرفاً أمنية أخرى كانت مشغولة بالتحذيرات الغربية عن تحركات مريبة لحزب التحرير في دول عربية متعددة. الباحث عبدالعزيز الخميس يشرح المخاوف الغربية من حزب التحرير؛ حجمها ومستقبلها.

اعتاد العرب العابرون لشارع ادجوار رود غرب لندن مشاهدة طاولات مليئة بالمنشورات التي يروج لها شباب ملتحون ينتمون لحزب التحرير.

ولطالما وقعت مشادات بين هؤلاء الشباب وشباب سلفيين أو إخوان قادمين من العالم العربي، ناهيك عن المعارك التي تحصل بينهم وبين عنصريين اوروبيين يسخرون ممًا يقوله هؤلاء الشباب عن إقامة الخلافة في عقر دار قصر وندسور البريطاني وإزاحة الملكة ليعلن بدلاً عنها خليفة إسلامي يحكم أوروبا وما جاورها.

لكن المتحاورين مع اصحاب طاولات ادجوار رود أو الهايد بارك لم يكونوا كلهم غير مهتمين بالدعوات للانضمام لحزب التحرير خاصة وان الهدف. كما يبدو لهم. سامٍ وهو إعلان الخلافة ووحدة الأمة الإسلامية.

بدأت قصة حزب التحرير على يد تقي الدين النبهاني وهو فلسطيني درس في الأزهر وتوفي عام ١٩٧٧ وعمل قاضياً في محكمة مقدسية.

شاهد النبهاني سقوط الأقصى أمام عينيه؛ فاهتم لذلك وحزن وجهد بحثاً عن سبيل لاستعادته فوجد ضالته في الدعوة إلى عودة الخلافة الإسلامية التي انتهت على يد كمال اتاتورك في تركيا.

مر الحزب بنوازل كثيرة؛ فاعتقل العديد من انصاره وحورب في جبهات مختلفة، واصبح غير مرغوب فيه لدى العديد من الدول بسبب توجهاته المعادية للوطنية ومناداته بأهداف تبدو مستحيلة.

وتعرض الحزب إلى حملة أمنية أوروبية بسبب التصريحات التي رأى فيها الغرب معاداة للسامية وتهديداً للسلام العالمي.

ففي أستراليا ووجه خطاب أحد مسؤولي الحزب في مؤتمره الأخير رفضاً شعبياً وحكومياً.

وفي الدانمارك أثارت تهديدات ممثل الحزب فادي عبد اللطيف للدانماركيين ورئيس وزرائهم اندري راسموسين عاصفة من الاستياء.

أما في الشرق، يحاول حزب التحرير أن يكسب نفوذاً داخل في أوساط الشباب المسلم، ويروج قادته لأنهم حققوا نجاحاً كبيراً في ذلك، وأن نفوذهم سيمكنهم من إسقاط الزعماء

الفاسدين واستعادة عز الخلافة الإسلامية.

لكن ذلك الزعم يكشف عن ضعفه للمتعمق في أحداث الربيع العربي؛ فلم يسجل حزب التحرير حضوراً يذكر في الثورات وبقي محدود التأثير.

إلا أن تلك المحدودية لا تعني تقهقر الحزب إلى الوراء

إذ أن المراقبين الأمنيين الغربيين ما زالوا يتخوفون منه خصوصاً وأن نشاطه يهيئ في نظرهم الشباب المسلم لتقبل الأفكار المتطرفة والانضمام لاحقاً إلى تنظيمات جهادية.

ولا يعرف عن الحزب قيامه بنشاطات إرهابية فدعوته لا تقوم على العمل المادي، لكن بعض المنتمين له سابقاً أو المتأثرين بأفكاره تركوه والتحقوا بمجموعات تابعة أو متأثرة بفكر القاعدة.

ولعل خبر القبض على اللواء علي خان الذي كان يتولى مهام كبيرة داخل الجيش الباكستاني بل كان في غرفة قيادته في راولبندي مر مرور الكرام على الكثير من المهتمين بشؤون الأحزاب الإسلامية، لكن نظرتهم ستتغير بلا شك إذا عرفوا أن القبض عليه تم لانتمائه إلى حزب التحرير الذي يراهن على التغلغل داخل الجيوش وتغيير أنظمة الحكم بواسطتها.

بريطانيا المقر

ينظر المراقبون إلى بريطانيا على انها الساحة التي يصف فيها الحزب صفوفه ويعمل دون خشية، أما حزب التحرير فيرى في بريطانيا مقره الآمن ومركز انطلاقه.

ويقول أد حسين أحد أعضاء حزب التحرير السابقين في كتابه «الإسلاموي» إن الحزب «يستفيد من بريطانيا لعدة أسباب وهي انه يستطيع على أراضيها التواصل مع الإعلام الغربي وتمرير رسائله للعالم الإسلامي ويرى فيها ايضاً مركزاً للتجنيد في المساجد والجامعات».

وبعد ان كان الحزب يعتمد على بريطانيا لجمع انصار جدد معظمهم من الآسيويين يقوم الآن بالتركيز على استقطاب الطلبة الخليجيين خاصة المنتمين لمؤسسات عسكرية عبر الجامعات، ويسعى للتبشير بمبادئه في مقراتها.

وعلى الرغم من ان اوزبكستان اتهمت الحزب بالقيام بأعمال عنف على أراضيها الا ان بريطانيا لم تمنعه ولم تدرجه ضمن الحركات الإرهابية، واحتجت ضد الأصوات المطالبة بمنعه بأنه لم يثبت قيامه بأعمال عنف حتى الآن.

لكن المراقبين يتخوفون من تشكيل الحزب ممراً لتجنيد الشباب في صفوف التنظيمات الجهادية المتطرفة.

ويتهم الحزب بأن له علاقة بالانتحاري بلال عبد الله وهو عراقي حاول تفجير سيارة في وسط لندن ثم هاجم مطار ادنبره في اسكوتلندا عام ٢٠٠٧، وقد نفى الحزب هذه العلاقة.

ويشير الاسرائيليون إلى حزب التحرير بأصابع الاتهام لعلاقته بعمر شريف البريطاني والباكستاني الأصل الذي حاول تفجير بار في تل ابيب باسم حماس عام ٢٠٠٣.

النفوذ في العالم العربي

حاول المهندس الأردني ذو السبعين خريفاً عطا خليل أبو رشتة بعد توليه مقاليد أمارة الحزب ان يوسع حضوره في العالم العربي فقام بتغييرات كبيرة في هيكليته وتعيين قادة جدد.

وعلى الرغم من ادعاء منتسبي الحزب انهم تمكنوا من تجنيد الكثير من الانصار العرب الا ان المعلومات تشير إلى اخفاق ذريع في ذلك الشأن وأن نجاحهم كان متعلقاً فقط بتجنيد بعض الطلبة الدارسين في بريطانيا.

وقد يكون الحزب واجه عراقيل على طريق تجنيد عدد من الشباب السعودي بعد الحكم بالسجن على المعارض السعودي محمد المسعري الذي تدعي السلطات أنه عضو سابق في الحزب وتسبب ذلك بنفور كبير في أوساط السعوديين والخليجيين عموماً.

ويركز الحزب في عمله على تشكيل خلايا صغيرة يبلغ عدد

أعضاء كل منها خمسة وتدار من قبل عضو يسمى المشرف، ويخضع العضو الجديد لفترة اختبار تمتد إلى نحو عامين قبل أن يمنح العضوية الكاملة التي تتيح له العمل كعضو كامل الأهلية.

ولم تمكن سرية هذا الحزب حكومات العربية من تقدير قوته ومراقبة نشاطه ولعله أكثر سرية من تنظيم القاعدة؛ فلا يمنح الحزب فرصة لقادته في الظهور اعلامياً أو الحديث لوسائل الإعلام إلا ما ندر ولا يكون ذلك إلا في لندن حيث لا يخشى الحزب من تبعات ذلك الظهور.

ولاحظت تقارير غربية ان الحزب نجح في استقطاب عناصر قليلة جديدة في شمال افريقيا مستغلاً تعطش بعض ابناء تلك منطقة للانضمام إلى عمل إسلامي عالمي يعيد الخلافة.

وتشير تقارير إلى أن الحزب يعمل في اربعين بلداً حول العالم وينشط في استراليا وكندا والولايات المتحدة، لكن هناك دولاً تحظر نشاطات الحزب مثل معظم الدول العربية وروسيا وجمهوريات آسيا الوسطى وباكستان وبنغلاديش والمانيا التي تمنع نشاطاته جزئياً.

ويقدر الأكاديمي الأميركي اريب كوهين عدد اعضاء الحزب الفاعلين ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف عضو، لكن بعض المقربين من الحزب يدعون ان هذه الأرقام غير دقيقة ويضربون مثلاً بمؤتمر الخلافة الذي اقيم في سينايان في اندونيسيا عام ٢٠٠٧ والذي حضره ما يقارب ١٠٠ ألف عضو.

وجذب مؤتمره في البيرة الفلسطينية ١٢ ألف عضو، وكان الحزب قام بتنظيم رالي قاده أمير الحزب نفسه عطا أبو رشته. وقد منح ذلك الرالي الحزب أملاً بتحقيق حضور قوي على الأرض الفلسطينية، لكن السلطات كانت له بالمرصاد ومنعته من تكرار ذلك الرالي في يوليو/ تموز الماضي واعتقلت عدداً من أعضائه.

أما آخر مؤتمر له العام الماضي في لبنان فلم يحضره سوى بضع مئات من الأشخاص، بينما عقد مؤتمره الأخير في استراليا في قاعة لا تتسع لأكثر من ألف شخص، ويعتقد ان معظم اعضاء الحزب مقيمون في جنوب شرق آسيا مثل اندونيسيا وماليزيا.

ويروج الحزب ان له انصاراً مهمين في الجيوش العربية وفي الشرق الاوسط عموما ويتحدث عن انه شارك في مؤامرة للانقلاب ضد انور السادات ١٩٧٤، لكن العضو السابق ماجد نواز يقول ان معظم محاولات الحزب كانت فاشلة لاختراق الجيوش العربية.

وكانت وسائل الاعلام في يوليو/ تموز ٢٠٠٩ تحدثت عن ان السلطات التركية اعقلت أكثر من مائتين من اعضاء الحزب عبر تركيا.

وفي يوليو/ تموز ٢٠١٠ قامت السلطات الأردنية بالفعل نفسه واعتقلت انصاراً للحزب بينما قامت السلطات اللبنانية باحتجاز العديد منهم لمدة بسيطة لدعمهم للثورة السورية.

في الختام، يتخوف بعض المراقبين من عودة الحزب للعب دور مهم خاصة وان تركيزه على القيادات العسكرية يختصر له عمله التجنيدي لاستقطاب الانصار في العالم الإسلامي.

وتشير التقارير الغربية الامنية إلى أن هناك تخوفاً من إقدام الحزب على اختراق المؤسسات العسكرية العربية خاصة بعد نجاحه ولو لفترة محدودة في تجنيد جنرال باكستاني كان يمكن ان يصل إلى منصب رفيع في باكستان وقد يقودها يوما ما خاصة انها بلد تعودت حكم الجنرالات.

وهذا يجعل الغرب يحذر العرب من تغلغل حزب التحرير في اجهزته العسكرية، لكن هل يخشى الافكار المتطرفة للحزب هي ما يخشاه الغرب أم الوحدة الإسلامية؟

حظر الحجاب في آسيا الوسطى.. أداة جديدة لقمع الإسلاميين

علاء فاروق(*) – موقع علامات

من حين لآخر يخرج قانون جديد في إحدى جمهوريات

(*) كاتب مصري.

آسيا الوسطى يتضمن تضييقًا على ممارسة الشعائر الإسلامية والتحلي بها.

ومن آخر هذه القوانين ما نشرته الصحف أن جمهورية طاجيكستان حظرت ارتداء الحجاب على طلاب المدارس والجامعات، ولم يكتفوا بذلك، بل أصدروا قرارات فصل للطالبات اللائي رفضن خلع هذا الحجاب، وتم بالفعل منعهن من الامتحانات.

طاجيكستان والكيل بمكيالين

مؤخرًا أعلنت طاجيكستان، وهي جمهورية صغيرة وفقيرة أيضًا، حظرها للحجاب في المدارس والجامعات، بحجة أن ذلك يخالف القوانين المنظمة للجامعات والمدارس.

ووصف وزير التعليم هناك الفتيات اللاتي يرتدين الحجاب بأنهن «أتباع الحركات الإسلامية التي تسعى للترويج لأجندتها في المؤسسات التعليمية».

وقال: إن «غطاء الرأس هذا يمثل أيديولوجية دينية، ويتعارض مع قانون التعليم»، وهدد بأن «الطالبات اللاتي سيمتنعن عن تطبيق القواعد الجديدة سيواجهن الفصل من المدرسة».

وبرر الوزير القرار بأن الحجاب «انتشر في الآونة الأخيرة بصورة كبيرة، بعد أن كان ارتداؤه يقتصر على حالات محدودة ومنعزلة حتى وقت قريب، وهو ما يساهم في نشر الأيديولوجية الدينية».

والمتابع للوضع في طاجيكستان يجد أن سياستها تجاه قضايا الحرية بوجه عام تتسم بنظرية «الكيل بمكيالين»، حيث إن دستورها ينص على أن حقوق وحريات الأفراد مقدسة، وأن الحكومة مكلفة بحماية هذه الحقوق، وكذلك حرية الفكر والتعبير.

ورغم كل هذا إلا أن قررات الحكومة تضرب بكل هذه القوانين عرض الحائط، وتنتهك أبسط هذه الحقوق والحريات، وهي حرية ارتداء كل شخص ما يريد أو اعتناقه أي فكر ما دام لا يضر المصلحة العامة.

ورغم أن طاجيكستان الوحيدة من دول المنطقة التي سمحت بتكوين حزب على أساس ديني إلا أن سياستها القمعية لبعض هذه الشعائر يناقض هذا الأمر، ما جعلها عرضة في الفترة الأخيرة لانتقادات منظمات حقوق الإنسان.

مداهمة المدارس والمساجد

وليس الحجاب فقط هو المستهدف في منطقة آسيا الوسطى، لكن للأسف فالحكومات هناك تستهدف كل ما هو إسلامي من دروس علم، أو مدارس إسلامية، أو كتاتيب، أو حتى المساجد.

فمن السهل جدًا هناك أن تجد مسجدًا كبيرًا مغلقًا وقت الصلاة، وعندما تسأل عن سر ذلك تجد الإجابة أنه صدر قرار من الحكومة بإغلاقه لمخالفته الدستور.

ومنذ فترة قريبة قامت السلطات الطاجيكية بإغلاق العديد من المراكز الدينية الأهلية، وجاءت هذه الخطوة عقب إجراءات صارمة، مثل حظر ارتداء الحجاب في المدارس، وإغلاق العشرات من المساجد.

وتبرر السلطات هذه الإجراءات المتشددة بقولها: إنها تسعى لمنع انتشار ما تسميه التطرف الإسلامي في البلاد، و استهدفت السلطات في حملتها عددًا من المدارس الداخلية.

ويقصد بها هنا أماكن تعليم الأطفال اللغة العربية، وأماكن تحفيظ القرآن، وتتخذ أحد المنازل مكانًا لها خوفًا من بطش هذه الحكومات، وشنت فرق وزارة الداخلية مداهمات على عدة أماكن في العاصمة دوشنبه، يتعلم فيها الأطفال اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي.

وقامت قوات الشرطة باستجواب العديد من الأطفال في هذه الأماكن قبل أن تفرج عنهم بعد بضع ساعات، حيث لم يسمح آباء هؤلاء الأطفال للشرطة باقتياد صغارهم معهم.

تبريرات غير منطقية

وفي خطوة لتبرير مثل هذه الأعمال، قال شمس الله محمدوف، رئيس دائرة الشؤون الداخلية في مقاطعة «سينو» في دوشنبه، والذي كان مكلفًا بشن بعض هذه المداهمات: «خلال عملية البحث الخاصة في شارع راسولوف، وجدنا العديد من الأطفال القاصرين الذين يدرسون التعاليم الدينية» في عدد من المنازل.

وأضاف: «وعندما دخلنا المنزل، كان المكان في حالة يرثى لها، فالأطفال يجلسون في ظروف صعبة وهم جياع، وبدا أن مدرسهم كان يعذب الأطفال»، والحقيقة هذه ادعاءات يصعب تصديقها.

ردود فعل شعبية

وعند البحث عن ردود فعل السكان الطاجيك- مثلاً- تجاه هذه القرارات، تجد تباينًا كبيرًا في الآراء، فمنهم من يرفض هذه القرارات، ويرفض أيضًا تبريرات السلطات، ومنهم من يوافق على هذه القرارات، ويتهم الإسلاميين بالتعصب أو الإرهاب.

ورغم صعوبة التحدث إلى السكان هناك لخوفهم من بطش السلطات، إلا أن من تحدث منهم أثبت أن الإسلام هو الخيار الأفضل للسكان هناك، وأنهم يحبون الالتزام بشعائره، وأنهم لم يتركوا أي شعيرة من شعائره إلا رغمًا عنهم.

وقالت فئة كبيرة منهم: إن مخاوف الحكومة من تهديدات المتطرفين الإسلاميين في بلادنا مبالغ فيها، بل وفي غير موضعها.

عدم الكشف عن اسمها: «إنك لا تستطيع أن تصف تلك الأماكن التي تداهمها السلطات أنها مدارس»، لكننا نرسل أبناءنا إلى شيخ في بيته كي يتعلموا مبادئ الإسلام».

وأضافت: نريد حماية أطفالنا من العادات السيئة، مثل تعاطي المخدرات أو الانحراف، لذا نرسلهم لتلقي دروس دينية، موضحة أن الإسلام هو الخيار الأفضل الذي يمنع الأطفال من الانحراف إلى الفساد أو الدعارة».

و تقول موهايو (٢٢ عامًا)، وهي طالبة: إنها حصلت ذات مرة على «سي دي» من أحد مساجد دوشنبه، وقالت إن «السي دي» كان يدعو الفتيات لارتداء الحجاب.

واعتبرت أن «توزيع مثل هذه السيديهات يجب أن يُحظر»، وأضافت: «هل تفهم كيف أن الكثير من الشباب سيرسل في الاتجاه الخطأ بمثل هذه الأشياء؟ أعرف بعض الأشخاص، من بينهم أصدقائي الذين تحولوا إلى متعصبين».

وتضيف: إنها تصلي الصلوات الخمس يوميًا، ولكنها لا توافق على إرسال الأطفال إلى شخص يدير مدرسة داخل المنازل.

وتقول: إذا كنت تريد أن تتعلم الإسلام هناك العديد من الخيارات الأخرى، مثل استعارة كتاب من مكتبة، أو حضور دروس مناسبة في مدارس مسجلة مع مدرس متعلم.

أوزبكستان... مضايقات وعراقيل

ما يحدث في أوزبكستان ليس أقل مما يحدث داخل جارتها طاجيكستان، وربما يفوقها كثيرًا، فأوزبكستان حظرت الحجاب في جميع المؤسسات، وليس في المدارس والجامعات فقط، وقامت السلطات التعليمية في طشقند بشن حملة على الطالبات اللاتي ترتدين الحجاب هناك.

وقالت مجموعة حقوق الإنسان: إن الطالبات اللواتي يرتدين الحجاب في طشقند يتعرضن لمضايقات من قبل مديري المدارس.

وتقول فيريتاس، عضو فريق الاستجابة السريعة في أوزبكستان: إنها قد رصدت بالوثائق «حالات متعددة» تعرضت فيها الطالبات للإذلال والتخويف أو الطرد؛ لأنهم رفضوا خلع الحجاب، حسبما ذكرت وكالة الأنباء في كاليفورنيا.

وقد فرضت مدينة طشقند حظرًا مؤقتًا على الحجاب خلال

احتفالها مؤخرًا بالذكرى السنوية للمدينة، وبررت السلطات هذه الخطوة كإجراء مؤقت بزعم الحفاظ على أسباب السلامة العامة.

قرغيزستان.. قلق وخوف

السيناريو يتكرر بشدة في باقي الجمهوريات، ومنها قرغيزستان، التي تصر على وضع نفسها في مصاف الدول العلمانية رغم الأغلبية المسلمة فيها، وتشعر بالقلق إزاء انتشار الالتزام بالشعائر الدينية هناك، ما يجعلها تقوم بشن حملة نشطة لكبح ما تسميه «التطرف الديني».

وبالفعل قامت الجمهورية الصغيرة بفرض حظر مثير للجدل للحجاب في مدارس البنات، الأمر الذي دفع إلى الصدام بين العلمانية والدين هناك.

وتعد مدينة «أوش» من أشهر هذه المناطق التي تصطدم فيها العلمانية بالشعائر الإسلامية، وتضم هذه المدينة نحو ٥٧ مدرسة يبلغ إجمالي عدد الدارسين فيها ٥٠٨٥٦ تلميذًا وتلميذة.

وتشير تقديرات رسمية إلى أن ٥١٩ تلميذة واصلن ارتداء الحجاب رغم الحظر الذي فرضته الحكومة، وأن ما يقرب من ١٠ ٪ فقط من التلميذات لا يرتدين غطاء الرأس في المدارس.

ورغم أن الكثير من الجماعات الدولية مثل المجموعة الدولية لمواجهة الأزمات رفضن ما تقوم به الحكومة القرغيزية من فرض قيود على المظاهر التقليدية للإسلام في إطار حملتها على التطرف الديني. إلا أن المسؤولين الحكوميين هناك نفوا مزاعم بأنهم حذروا الطالبات من ارتداء الحجاب في المدارس، والحقيقة هذا يتعارض مع تصريحات هؤلاء المسؤولين أنفسهم، ومنهم عبد الولي بالتابابيف، مدير إدارة التعليم في «أوش».

والذي ذكر أن المدارس طلبت من التلميذات التوقف عن ارتداء غطاء الرأس الإسلامي تطبيقًا للتشريعات الرسمية للدولة.

وقال: «بموجب القانون يتعين على الجميع (في المدرسة) أن يكون لهم نفس المظهر دون غطاء للرأس».

وأضاف: «لكن عندما تأتي تلميذة إلى المدرسة بغطاء للرأس لا نطردها، ولا نقول لها شيئًا ضد هذا، نحن نشرح باستمرار وجهة نظرنا.

ونتحدث إلى الآباء، نحاول إقناعهم بأدب وبطريقة سليمة بأننا نعيش في دولة علمانية، وبأن التشريعات علمانية أيضًا، ولهذا السبب يجب أن يمتثلوا (للقواعد) أيضًا».

وتقول وزارة التعليم أيضًا: إنها اتخذت هذا القرار بناء على محاربة الإرهاب والتعصب الديني، وذكرت وكالة AKI القيرغيزية أنه تم توجيه المدارس بمراقبة الطلاب الذين لديهم انتماءات، أو متأثرون بأفكار إرهابية، وملاحظة الطلاب الذين يتغيبون عن الدراسة يوم الجمعة.

الاعتقال أداة جديدة

ولم تكتف الحكومة هناك بحظر بعض الشعائر الإسلامية، بل إنها قامت باعتقال وسجن كل من تسول له نفسه أن يعترض على قوانينها التي تؤكد بها «علمانية الدولة».

وقامت هذه الجمهورية، وهي أصغر جمهوريات آسيا المركزية سكانًا»، بسجن ٣٢ شخصًا شاركوا في احتجاجات مناهضة للحكومة في بلدة «نوكات» التي لا تبعد كثيرًا عن أوش في أحد أيام العطلات اللاإسلامية بعد أن اتهمتهم بالتطرف الديني.

وكذلك اتخذت إجراءات صارمة ضد جماعات الإسلاميين الذين تعتقد أنهم يسعون للإطاحة بالحكومة العلمانية في الدولة التي يغلب المسلمون على سكانها، لكنها رسميًا علمانية.

وليس هذا فقط، بل تسعى الحكومة هناك لمنع انتشار الإسلام نفسه، ففي العام الماضي أصدر الرئيس القرغيزي قرارًا يمنع التحول بين الأديان؛ للحد من انتشار الإسلام المتزايد، وكذلك التعليم الخاص للأديان، وكذلك توزيع المطبوعات الدينية.

ردود الفعل

والحقيقة أنه رغم علمانية حكومات هذه البلاد، إلا أن السكان في شوق دائم للشعائر الإسلامية، ويفضلونها عن طعامهم وشرابهم، فإذا تعارض عملهم مع هذه الشعائر فضلوا التزامهم بالشعيرة، وترك العمل.

ويؤكد ذلك ردود فعل التلميذات هناك على قرار منع الحجاب في المدارس، حيث اشتكت بعضهن من مشاكل واجهنها مع المدرسين بسبب قرارهن مواصلة ارتداء الحجاب، الذي يعتبره كثيرون من قبيل الحرية الشخصية، وجزءًا شديد الأهمية من الالتزامات الدينية.

وتقول دوردونا أحمد زانوفا، تلميذة في المرحلة الإعدادية: «لم يرغمني أحد على ارتداء الحجاب. لا أعتقد أن الحجاب يعوقني عن اكتساب المعرفة، وأضافت: «واجهت مشاكل مع المعلمين، لكنني لم أتنازل عن حجابي».

وليس هذا فقط رد فعل المحجبات، فحتى اللائي لم يرتدين الحجاب يرفضن هذا الحظر، ويصفن الحجاب بأنه رمز للعفة.

فتقول سعيدة أكبروفا، تلميذة في المرحلة الإعدادية أيضًا، ولا ترتدي حجابًا؛ لأن والديها يعترضان عليه: «لم أر أي إشارة تدل على الأصولية بين المحجبات».

مضيفة أن الحجاب يعني البراءة والطهر والحشمة، ودليل على أننا مسلمون.

وتابعت: وأنا لا أود القول: إن الفتيات حاسرات الرءوس غير جديرات بالاحترام، ولكن الحجاب يحمي من أشياء سيئة». ولم يقلّ رأي علماء الدين هناك عن رأي هؤلاء الفتيات.

ويرى علماء مسلمون يتولون التدريس في جامع البخاري، أحد مسجدين رئيسيين في أوش، أن الحجاب جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية.

وقال سويون أدزي كاليكوف، القاضي الشرعي بمنطقة أوش: «أقر بأن من الضروري وجود زي مدرسي موحد بتصميم موحد للجميع، لكن إرغام الفتيات على خلع الحجاب خطيئة، وكذا قول أن الحجاب له تأثير سلبي على المجتمع والناس».

وأضاف: «كيف يكون للحجاب تأثير سيئ.. هذا ليس صحيحًا.. على العكس، فالحجاب يشير إلى الأدب والإيمان.. إنه رمز للإسلام.. يوصي القرآن بالحجاب للنساء حتى لا يكن مصدر فتنة للرجال.. إنه وقاية من السوء».

وحتى منظمات المجتمع المدني هناك اعترضت على مثل هذه القرارات، فتقول كلارا تنيبيكوفا، نائب رئيس جمعية فرحة الإيمان الإسلامية، التي تقدم دورات لتعليم القرآن وأصول الدين للنساء: «أعتقد أن المدرسة إذا طلبت زيًا موحدًا فيتعين ارتداء زي موحد، لكن الفتيات يجب أن يكون لهن الحق في ارتداء أغطية الرأس أيضًا، وهذا لا يثير انزعاج أحد فيما يبدو. وتابعت: إذا ارتدت الفتيات الجينز في المدارس أو ملابس تكشف جزءًا من بطونهن، فنحن لا نشير إليهن. لماذا إذن يتعين حظر الحجاب إذا كانت الفتيات يردن ارتداءه كمسلمات حقيقيات. لا أستطيع أن أفهم هذا».

كازاخستان.. العدوى تنتشر

السياسة المتبعة للتعامل مع الإسلاميين تكاد تكون واحدة، ولا تختلف إلا في الوسائل التي تنفذ بها هذه السياسة، وهناك شيئا ملحوظا على سياسة هذه الدول؛ وهو أن خطواتها متتابعة، بمعنى عندما تسن إحداهن قرارًا، فسرعان ما تلاحقها الأخرى بمثل هذا القرار أو ما يماثله، ما يمكن الاصطلاح على تسميته بـ«انتشار العدوى».

ولم تكن كازاخستان- وهي أكبر جمهوريات المنطقة مساحة- بعيدة عن مثل هذه القرارات، فقد قررت حكومتها حظر ارتداء الحجاب الإسلامي بين الطالبات والمعلمات في المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم الحكومية.

وقـال وزيـر التربيـة والتعلـيم في «كازاخـستان» «شـان سـيد توييمبابيف»: إنه سيمنع ارتداء الحجاب في المدارس؛ فنحن بلد ديمقراطي وعلماني.

وأضـاف: إن لـبس الحجـاب يـدل عـلى أن الفـرد ينتمـي إلى عقيـدة معينـة، وهـذا يتعـارض مع أهـداف المرحلـة الثانويـة؛ لـذا فارتـداء الملابـس التـي توضـح الانـتماء الـديني ممنـوع للطـلاب والطالبات، وعليهم جميعًا لبس زي موحد.

والحقيقة أن هذا التصريح يمثل صدمة كبيرة، حيث إنه يرأس وزارة المفـترض أنهـا تـدافع عـن التربيـة، وتعلـم الطـلاب الحريـة والديمقراطية والحفاظ على الهوية.

لكن يبدو أن رصيد العلمانية كبير في هذه البلاد لتصبح هذه هي لغة تصريحات مسؤوليها.

وكانـت بعـض المـصادر تناقلـت خـبرًا مفـاده: أن إحـدى المدارس في جنوب كازاخستان قامت بمنع مُعَلّمة من مزاولـة مهنـة التـدريس فيهـا؛ بـسبب ارتـداء الحجـاب، ونـسبت ذلـك لتوجيهات حكومية من وزارة التربية والتعليم».

ونقلت المصادر عن المعلمة الموقوفة عايدة ديكبيفا، وهي معلمة الجغرافيا في ثانوية بمدينة «تالديكورجان» جنوب شرقي كازاخستان قولها: «إنها رفعت الأمر إلى مكتب المدعي العام للسماح لها بارتداء الحجاب أثناء التدريس».

وأضـــافت ديكبيفـــا، حـــسب إذاعـــة «راديـــو ليـــبرتي» الكازاخستانية، أن مديرة المدرسة أمرتها بخلع الحجاب في أثناء التدريس، بـدعوى أن المَدرسـة اعتمـدتْ حظـر ارتـداء الحجـاب للطالبات والمعلمات على حدٍّ سواء.

ولم يكن الحجاب فقط هـو الـشعيرة الوحيـدة التي حظرتها الحكومة الكازاخية، فقد أصدرت إحدى محاكم البلاد حكمًا بمنع جلـب وتـرويج مئات الـ«مـواد الإعلاميـة»، بينها سـور مـن القرآن الكريم، بحجة ترويجها لـ«الفكر المتطرف».

ونص الحكـم على «حظر جلـب وتـرويج ٢٠٧ مـواد إعلاميـة بينها كتب ومنشورات وعدد من سور القرآن الكريم؛ لأنها تدعو إلى التطرف» على حد ادعاء القرار.

ورغـم أن الـسلطات هنـاك أعربـت عـن عـدم معرفتهـا بوجـود سور للقرآن الكريم داخل هذه المواد الإعلامية، إلا أنها قامت في الفترة الأخيرة بعدة حملات على الأسواق، قامت خلالها بسحب شرائط للقرآن الكريم الموجودة هناك.

قرار حظر الحجاب بحجة منع انتشار التطرف الإسلامي ما هـو إلا أداة جديـدة لقمـع انتشار الإسـلاميين، ومحاولـة عرقلـة خططهم الإصلاحية.

لكن رغم كل هذه العراقيل نجد سكان هذه المنطقة ذات البعـد التـاريخي والحـضاري الكبـيرين مـا زالـت ثابتـة عـلى عقيدتها، ومحافظة على هويتها.

لكن ما يثبتها أكثر، ويعزز من موقفها وقوف المنظمات الدوليـة والحقوقيـة بجانـب قـضاياها، ومحاولـة كـشف مـا يتعرضون له من ضغوط، وأن هذا ضد مبدأ الحريات الذي تدعو له حتى العلمانية التي يتشدقون بها

شاهرودي.. الفارسي الهجين
هل يخلف خامنئي كمرشد أعلى؟

محسن يزدي(*) – الوطن العربي ٢٠١١/٩/٢١

جـاء تحـذير عـلى خـامنئى مـن أن الانتخابـات العامـة المقـررة في أوائـل العـام المقبـل تحمـل في طياتهـا خطـراً عـلى الأمـن القـومى الإيرانـى، ليكـشف عـن مخـاوف في أوسـاط المحـافظين مـن الانقسامات الحـادة في صـفوفهم، وانقطاع حبـل الحـوار مـع الإصـلاحيين، والإدراك أن الإيـرانيين لم يعـودوا

(*) كاتب إيراني.

يصدقون البيانات الرسمية عن وضع اقتصادهم، ولذلك اعتبر المراقبون أن تعيين محمود هاشمى شاهرودى رئيساً للهيئة العليا لحل الخلافات وتنظيم العلاقات بين السلطات الإيرانية الثلاث، إنما هو محاولة لرأب الصدع، كما أنه يفتح الباب ليصبح شاهرودى الحاصل حديثاً على لقب «مرجع تقليد» أحد المرشحين البارزين لخلافة خامنئى.

وكان خامنئى قد قال في خطبة العيد: «إن لدينا انتخابات قادمة في نهاية العام.. يجب أن نحرص ألا يضر هذا التحدى بأمن البلاد».. وكان انتخاب محمود أحمدي نجاد للرئاسة في العام ٢٠٠٩ قد أثار احتجاجات شعبية حاشدة، قمعها النظام بقوة، بعد أن اعتبرت المعارضة الإصلاحية أن هذه الانتخابات مزورة، بينما ادعى أنصار النظام أن هذه الاضطرابات موصى بها من الخارج.

وجاء هذا التحذير في وقت تزداد في المعسكر المحافظ التحضيرات تمهيداً لانتخابات المجلس الإيراني المتوقع إجراؤها في أوائل شهر مارس «آذار» ٢٠١٢، وفى هذه الغضون ذهبت سدى الجهود المبذولة من أجل التوصل إلى توافق بين جميع الأجسام السياسية المحسوبة على هذا المعسكر بالنسبة لتركيبة قائمة المرشحين للانتخابات بواسطة «لجنة منظمة» يبلغ عدد أعضائها ١٥ عضواً من جميع الأجسام المحافظة.

وأفادت وسائل الإعلام الإيرانية عن إقامة جبهتين سياسيتين جديدتين تمثلان تيارات مختلفة في المعسكر المحافظ. الجبهة الأولى محسوبة على الجناح الراديكالى في المعسكر المحافظ ومكونة من نشطاء سياسيين يعدون من مقربى الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، أما الجبهة الثانية فمكونة من ١١ مجموعة محافظة مختلفة ومحسوبة خاصة على محسن رضائى، أمين سر «مجلس تشخيص مصلحة النظام»، وقائد الحرس الثورى سابقاً الذي رشح نفسه أمام الرئيس أحمدي نجاد في الانتخابات الرئاسية الأخيرة العام ٢٠٠٩، وزاد الإعلان عن إقامة جبهتين محافظتين التخوف القائم وسط القادة الإيرانيين من انقسام المعسكر تمهيداً للانتخابات، الأمر الذي قد يعزز سواء كان ذلك نشطاء «التيار المنحرف» وهو الوصف الذي يطلق على التيار السياسي المحافظ المحسوب على رئيس ديوان أحمدي نجاد رحيم مشائى، أو نشطاء التيار الإصلاحى الذين لم يقرروا بعد هل يخوضون الانتخابات القريبة أم لا، كما وجه رئيس مجلس الخبراء آية الله محمد رضا مهدوى، كنى انتقادات شديدة اللهجة حول التحزب والتشرذم وسط المحافظين مدعياً أن الخلافات في الرأى تنافى مصالح الثورة وتساعد أعداء إيران، وفى هذه الغضون قام الزعيم الإيراني الأعلى على خامنئى بتعيين رئيس السلطة القضائية السابق آية الله محمود هاشمى شاهرودى رئيساً لـ«المجلس الأعلى لحل الخلافات وتنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث»، وقد جاء تشكيل المجلس على خلفية احتدام الخلافات في الرأى بين المجلس الإيراني والسلطة القضائية خلال العام الأخير.

وتضم الهيئة العليا في عضويتها كلاً من حجة الإسلام سيد محمد حسن أبو ترابى وسيد مرتضى نبوى وعباس على كدخدائى وسيد صمد موسوى لفترة خمس سنوات، وأكد الخامنئى أن على كبار المسؤولين تنظيم العلاقات بين السلطات الثلاث بشكل مطلوب وإزالة الخلافات المحتملة والتعاون إلى أقصى حد مع الهيئة المذكورة.

وكان شاهرودى قد انضم إلى نخبة من الرجال المؤهلين لشغل منصب المرشد الأعلى، عندما أعلن نفسه مرجع تقليد بعد أن أصدر رسالته «أطروحة في تفسير الشريعة»، وعلى الرغم من الانتقادات واسعة النطاق لتعامله مع المعارضين السياسيين ومنتهكى القانون الأخلاقى الصارم الذي تفرضه إيران ينظر البعض إلى شهرودى باعتباره محافظاً معتدلاً فرض حظراً مؤقتاً

على إعدام المدانين في جرائم الزنا رجماً وتنفيذ أحكام الإعدام شنقاً علانية، كما أن عودته قد تثير تساؤلات حول من سيخلف خامنئى الذي يعلو الرئيس في ترتيب السلطة، في ظل صراع سياسي محتدم بين فصائل داخل المؤسسة المحافظة، وقال باقر معين كاتب سيرة آية الله روح الله الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية شهرودى جزء من المؤسسة ومعترف به من قبل المؤسسة الدينية بشكل عام كشخص حصل على وضع المجتهد ويمكن أن يكون مصدراً للتقليد.

فكلما عاد الكلام عن خليفة الخامنئي بعدما كثرت الشائعات عن غيابه، تردد اسم محمود الهاشمي شاهرودي كأبرز المرشحين لخلافته، فهو أكثر رجال الصف الثاني نفوذاً وقرباً من المسيطرين على القرار في إيران.

ورغم أصوله العراقية تمكن محمود الهاشمى من أن يصبح أحد الأرقام الصعبة في الشارع السياسي والإيرانى وكان الجسر الصدرى طريقة للعبور إلى بلاد فارس التي تعلم لغتها وكأنه يعد نفسه لمستقبل جيد، وبرغم محدودية مواهبه القيادية التي أدت لهزيمته أمام محمد باقر الحكيم الذي أطاح به من رئاسة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، استطاع الهاشمى التسلل إلى الحوزة العلمية ولفت انتباه خامنئى بسبعة مجلدات وعشرات المقالات الفقهية العصرية عن تطوير الحوزة وإعداد كوادر جديدة مؤمنة بنهج الثورة الإسلامية، ليأخذ طريقه بعد ذلك في تشكيل المجلس الأعلى للثورة الثقافية الذي حمل لواء أسلمة إيران والحفاظ عليها من الغزو الثقافى الغربى وغيرها من المهام، ليكون جنباً إلى جنب مع شخصيات إيرانية بارزة مثل هاشمى رفسنجانى ومهدى كروبى، وعندما تولى الهاشمى أمر القضاء بعد أن فشلت محاولات منعه من المنصب باعتباره «إيرانيا هجيناً» وقد تعامل بيد من حديد مع كل معارضى النظام الحالي وزج بقادتهم في السجون وضرب بحقوق الإنسان عرض الحائط وعندما انتهت ولايته سلم الراية لآية الله صادق لاريجانى، ليعود عضواً في مجلس صيانة الدستور، ويلعب دوراً كبيراً في تزوير الانتخابات لصالح أحمدي نجاد، وانتخب نائباً أول لرئيس مجلس الخبراء هاشمى رفسنجانى لتتبقى له خطوة واحدة ليحل محله مستعيناً بالترويج لمرجعيته الدينية لينتقل إلى ولاية الفقيه، وسيد محمود هاشمى شاهرودى، أو محمود الهاشمى هو نجل رجل الدين سيد محمد على.

وكان أحد القيادات في حزب الدعوة الإسلامية الذي أسسه في العراق السيد محمد باقر الصدر مع مجموعة من علماء دين وشخصيات مرموقة ١٩٥٧، ورغم أن الهاشمى لغته الأصلية هي العربية، لكنه تعلم الفارسية في إيران التي جاءها بعد سقوط نظام الشاه بصفته معارضاً عراقياً، وأصبح بالفعل رئيساً للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، عندما كان السيد محمد باقر الحكيم الناطق الرسمي باسم المجلس في العام ١٩٨٢، وخلال عمله كمعارض عراقي، اختلف محمود الهاشمى مع الحكيم حول قيادة المجلس وعموم المعارضة العراقية والشيعية منها بوجه خاص، وكان الإيرانيون يتدخلون لحسم الخلافات عبر ممثلين مباشرين لخامنئي أو عن طريق خامنئى نفسه عندما كان رئيساً للجمهورية الإسلامية، ومفوضاً من قبل الإمام الخميني في المسألة العراقية، وفى فترة التأسيس الأولى في العام ١٩٨٢ تناوب الحكيم والهاشمي على رئاسة المجلس وتبادلا الرئاسة و«الناطقية»، غير أن الحكيم ولأنه كان يتمتع بمواصفات قيادية تفوق الهاشمي، ونجح في التصدي لقيادة المجلس وإلغاء منصب الناطق الرسمي باسم المجلس، ومن ثم إقصاء محمود الهاشمي عن ساحة المعارضة العراقية، ليتفرغ الأخير لتدريس العلوم الدينية مركزاً على منهج أستاذه السيد محمد باقر الصدر في الحوزة العلمية في قم.

ولكونه يعرف من قبل خبراء الحوزة بالنبوغ،

وبدرجته العلمية الرفيعة وتحقيقاته الدقيقة في علم الأصول، فقد أصبح الهاشمى أستاذاً لامعاً في الحوزة الدينية، ووضع سبعة مجلدات في هذا العلم، وكتب عشرات المقالات الفقهية التي تنم عن ذوق عصري وقدرة على الاستنباط مكنته من أن يصبح مجتهداً لامعاً وعضواً بارزاً في المجلس الأعلى للحوزة العلمية في قم، وهو المسؤول عن كل ما يتعلق بمناهج الحوزة الدينية وإدارتها والحفاظ على هويتها وأصالتها، وهي معقل آيات الله وحجج الإسلام، ومنها انطلقت شرارة الثورة الإسلامية ضد الشاه العام ١٩٦٣، وأثارت أفكار محمود الهاشمى لتطوير الحوزة الدينية، وإعداد جيل جديد من المعممين المؤمنين بنهج الثورة انتباه السيد خامنئى إليه فجعله مقرباً منه في الدرس والبحث العلميين، وأصبح - خصوصاً بعد انتخاب خامنئى للقيادة بعد وفاة الإمام الخمينى العام ١٩٨٩- من «حوارييه» ومدرساً خاصاً له، بحجة المباحثة ليتعلم منه خامنئى أعلى مراتب العلوم الدينية، إلى جانب آية الله سيد كاظم الحائرى، وكان قيادياً بارزاً في حزب الدعوة، بل الولى الفقيه للحزب، قبل أن يصبح هو الآخر من «حواريى» الولى الفقيه بعد إضافة لقب «شاهرودى» له، وحذف «ألف لام» التعريف من لقبه الأصلي لتأكيد إيرانيته في وجه من شكك بها من الإصلاحيين، تدرج محمود هاشمى شاهرودى في المناصب الإيرانية واختاره خامنئى عضواً فقيهاً في «مجلس صيانة الدستور» المكلف بتأهيل المرشحين للانتخابات البرلمانية والرئاسية والبلدية وانتخابات مجلس الخبراء والمسؤول عن إعلان صحة الانتخابات أو إلغائها.. كما عينه القائد إلى جانب هاشمى رافسنجاني ومهدى كروبى وآخرين، عضواً في المجلس الأعلى للثورة الثقافية، كما عين رئيساً للسلطة القضائية في الفترة ما بين ١٩٩٩ و٢٠٠٩ ، وهى أخطر مرحلة مرت بها الجمهورية الإسلامية، وليضرب بيد من حديد زعماء الحركة الإصلاحية، ويزج بالعشرات منهم في السجون، ويحرم كبار قادتهم من العمل السياسي والاجتماعي «بأحكام قضائية» صدرت في عهده، فعهد شاهرودى في القضاء اعتبره الكثيرون من أسوأ مراحل فقدان القضاء الإيراني استقلاليته.

وفى زمن شاهرودى الذي سلم زمام العهدة القضائية لخليفته آية الله صادق لاريجانى وسط جدل حول محاكمات الإصلاحيين المحتجين على نتائج الانتخابات سجلت أكثر حالات السجن الانفرادى، وحصلت انتهاكات على نطاق واسع لحقوق السجناء وحالات التعذيب وإجبار المعتقلين على الاعتراف عبر التلفزيون، وكلها مخالفات للدستور وللدين ولحقوق الإنسان، كما وجه الرئيس السابق محمد خاتمى رسالته إلى شاهرودى، وطلب منه أن يترك القضاء، مرفوع الرأس بالإفراج عن المعتقلين ووقف المحاكمات وإعادة الحقوق، إلا أنه وبدلاً من ذلك ختم عهده القضائى بإرسال تعليمات جديدة للمحاكم الإيرانية لمعاقبة من تصنفهم المحاكم بأنهم أعضاء في «خلايا إنترنتية» وهو اصطلاح يشمل كل من يستخدم الإنترنت لإيصال معلومات أو صور عن الوقائع الإيرانية، وكانت رئاسة شاهرودى للقضاء ضربة قوية للحركة الإصلاحية، ففى عهده تم اغتيال رموزها سياسياً، وقتل صحفيين ومعارضين ليبراليين، منهم داريوش فروهر وزوجته بروانة إسكندرى ، وترويع الشارع وقمعه لمجرد تنظيم مظاهرات سلمية أقرها الدستور في المادة ٢٧، ولذلك قد يختاره مجلس الخبراء خليفة لخامنئى، رغم «عراقيته» السابقة، التي لم يفلح الإصلاحيون في وضع خط أحمر عريض تحتها، كونها أيضاً مخالفة دستورية في أن يتولى رئاسة القضاء «إيراني هجين».

مائة سؤال حول زيارة نجاد إلى السودان

عمار عوض(*) – صحيفة الراكوبة الإلكترونية ٢٠١١/٩/٢٣ باختصار

عند النظر زيارة الرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد للخرطوم التي لم يكشف عنها الا اليوم، في الصحف الصادرة بالخرطوم، نجد ان ظاهرها يقول انها تاتي ردا على زيارة رئيس الجمهورية، وحزب المؤتمر الوطني عمر حسن احمد، التي قام بها إلى طهران قبيل اعلان استقلال جنوب السودان، وقبيل اشتداد اوار الحرب في جنوب كردفان، ورفض الاتفاق الاطاري مع الحركة الشعبية بالشمال، وهى الزيارة التي قال كثير من المراقبين ان المشير عمر حسن احمد، تلقى فيها وعودا بدعم عسكري غير محدود لمقاتله قوات الجيش الشعبي، في الوقت الذي ذهبت فيه الحركة الشعبية ابعد من ذلك وهي تتهم القوات الحكومية في بيانات صادره منها ومنشوره على الانترنت، بالاستعانه بقوات وخبراء إيرانيين، شاركوا في الحرب على جيشها الشعبي في جنوب كردفان، ثم أردفت اتهامها هذا باخر اغلظ منه، وهى تبث صور لدانات وزخائر قالت انها أسلحة كيميائة استخدمت من قبل سلاح الجو السوداني بعد ان تحصنت قوات الحركة بالجبال والكراكير، وأشارت الحركة بشكل واضح إلى انها قادمة من إيران، متهمة لها بأنها تقف خلف إشعال الحرب، بتزويد حكومة المؤتمر الوطني بالأسلحة رغم الضائقة الاقتصادية التي يعيش فيها النظام في الخرطوم، الذي نجح هو الاخر في استثارة طهران عبر فزاعة اسرائيل ودورها في الصراع السوداني –السوداني وغيرها من الاسطوانات التي تديرها الخرطوم وتلعب عليها كلما شعرت باقتراب زوال حكمها.

ومن جهة اخرى نجد ان طهران ونظام الملالي فيها، وجد نفسه محاصرا بثورات الربيع العربي، التي وصلت إلى قلب العاصمة دمشق حليف إيران الرئيس في المنطقة العربية، ومع اقتراب سقوط نظام الاسد الذي كانت تستغله من أجل تحقيق اجندتها في الشرق الاوسط، وأوهام تصدير الثورة التي هبت عليها بصوره عكسية، وصارت تقترب من عروش حلفائها، هي من جعلت احمدي نجاد يهرول باتجاه الخرطوم.

كما ان ارتفاع حدة التوتر على الحدود السودانية الارترية مع ارتفاع اصوات البجا بضرورة الانخراط في العمل المسلح لاستعادة الحقوق المسلوبة من نظام الخرطوم، والتي تظهر في الانباء التي بثتها بعض المواقع الاكترونية، وهى تشير إلى تخريج ١٢٠٠ من ابناء البجا بقيادة شيخ عمر محمد طاهر ودعوته لابناء المنطقة بالانضمام اليه وهى الدعوة التي سارت بها الركبان في قرى شرق السودان وما عادت تحتاج لبرهان، خاصة بعد ارتفاع ترموتر التوتر بين الخرطوم واسمرا، الذي لم تنجح زيارة محمد عطا في كبح جماحه بحسب ما قاله مصدر دبلوماسي لصحيفة الصحافة السودانية الذي اوضح أن الغرض الأساسي من زيارة رئيس جهاز الأمن والمخابرات الوطني الفريق محمد عطا إلى أسمرا كانت لتلافي التململ الذي ظهرت مؤشراته في الحدود الشرقية للبلاد وحتى النيل الأزرق.

وربما يقول قائل وما شان احمدي نجاد بالتوتر في شرق السودان، هنا لابد من الانتباه لان ارض وساحل شرق السودان كان مؤجرا من الباطن للحرس الثوري الإيراني، وهنا نجد ان نجاد الذي ارتبط بالسودان لتمرير اجندته في فلسطين عبر الاستفاده من شرق السودان الذي حال ما اندلعت فيه ثورة مسلحة لن يكون امنا تجاه عمليات تهريب السلاح حيث ستنغمس جميع قبائله في الصراع ولن تجد أي منها وقت للعمل في تهريب السلاح لصالح الإيرانيين.

وبالعودة إلى الأسلحة الحديثة والمتطورة التي هربت من ليبيا إلى السودان ليتم تمريرها في مابعد إلى قطاع غزة وحزب الله

(*) كاتب مصري.

لم يرشح عنها اي شئ طوال الأيام الماضية، مما يضع الجميع امام تساؤل أين هذه الأسلحة الان؟ وما علاقتها بزيارة نجاد للسودان؟

هنا تحضرني قصة تم تداولها على نطاق واسع أيام ما كانت ليبيا العقيد القذافي محاصرة دوليا برا وبحرا وجوا في تسعينات القرن الماضي، تقول القصة ان العقيد اشترى سلاحا وزخائر من أجل قمع معارضيه الذين ضاقوا بالحصار فاستعان بدولة تربطها معه مثلث حدودي صغير كانت هي الأخرى تعاني تمردا واسعا، ولكن عندما وصلت الشحنة إلى طرابلس كان نصفها قد اختفى !!! ولم يجد العقيد امامه من طريق الا الصمت وعض الأصابع، فهل سيصمت النجاد أم ان الامر كان معدا مسبقا ؟ دعونا ننتظر ونرى !!!

من يحمي الأكثرية من طغاة الأقليات؟

حسان القطب[*] – السياسة الكويتية ٢٠١١/٩/٢٣

الكثير من السياسيين والإعلاميين ورجال الدين في لبنان وسورية يتحدثون عن التشدد والتطرف، وعن ضرورة مواجهته ومكافحته، وعن خطورته وتداعياته ونتائجه، وبعضهم يحذر من الانزلاق إليه، وآخرون يحذرون من وصول المتطرفين للسلطة حتى لا ينفجر الوضع السياسي والأمني في المنطقة مما يسمح بتدخل دولي وإقليمي في دول شرقنا العزيز، وحدوث فوضى تودي بالحياة السياسية والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وتؤدي إلى تفتيت النسيج العرقي والديني، والخبثاء منهم من يستغلون مخاوف بعض المواطنين في الداخل من أفكار وأطروحات بعض المتطرفين للتحريض عليهم أو لدفعهم إلى تجاهل أخطاء النظام وما يرتكبه والتمسك به والحفاظ عليه كخيار وحيد وأوحد رغم مساوءه، ولتحذير الدول الغربية وغيرها، وإفهامها بوضوح أنهم وحدهم ضمانة الاستقرار في المنطقة، ومحاسبتهم على سلوكهم والرغبة في تغييرهم أو التخلي عنهم معناه انتقال السلطة من أنظمة ديكتاتورية تحكمها أقليات دينية أو سياسية أو أحزاب حاكمة بسلطة مطلقة إلى المتطرفين يؤدي حتماً إلى انفجار الوضع الأمني في الداخل بين فئات المواطنين، وانشغال العالم أجمع بمكافحة الإرهاب وخطر التطرف الذي لا يعرف مكافحته سوى هذا القائد أو ذاك الديكتاتور، وهذا ما لا يرغب العالم أجمع في رؤيته أو حتى التعايش معه.

لكن لم يتحدث أحد من هؤلاء عن أسباب التطرف ونشأته، وما هي العوامل التي تدفع ببعض المواطنين سواء من عامة الشعب أو من المثقفين إلى الانخراط في هذا النهج وسلوك هذا الطريق. أليست السياسات الظالمة التي ينتهجها هذا الحاكم أو هذا الحزب أو هذه الأقلية الدينية أو الأكثرية الدينية، هي السبب، فالتطرف ليس حكراً على الطائفة السنية، كما ذكر البعض في خطبهم الأخيرة، وحركات التغيير الإسلامي وغير الإسلامي التي انخرطت في العمل السياسي ورفضت حمل السلاح في ثورة مصر أو في ثورة سورية الناهضة اليوم لتحقيق التغيير المنشود نحو الديمقراطية والتعددية لا يمكن اتهامها بالتطرف ولا يمكن القول أن ما تعرضت له على امتداد سنوات من التغييب والتهجير والسجن والتعذيب وأحجام الإعدام بحق ناشطيها كانت بهدف إنساني وسياسي نبيل، بل من الضروري الاعتراف بأن هذه الحركات قد تجاوزت جراحها وآلامها وعذابات مؤيديها وانخرطت في ثورة سلمية تواجه أقلية دينية تحكم سورية باسم العلمانية ومتحالفة مع دولة دينية مذهبية ديكتاتورية هي دولة إيران التي تؤمن لها الدعم والمساعدة للاستمرار في قمع شعبها، وتأمين استقرارها، والاستمرار في السلطة لا لخدمة شعب سورية وطموحاته بل لتحكم من خلالها ليس شعب سورية فقط، بل لبنان والأردن وفلسطين أيضا.

(*) كاتب مصري.

كما لم يتحدث أحد من هؤلاء عن التطرف من حيث مفهومه وطبيعة ممارساته، فالتطرف ليس ممارسة محصورة بطائفة أو أتباع دين أو مذهب محدد بعينه أو مناصري حزب سياسي دون سواه. فحزب «الدعوة» الإسلامي الشيعي مارس التطرف والعمل العسكري ضد نظام البعث في العراق قبل وخلال عهد صدام حسين، بهدف تغيير النظام وتحويل العراق إلى دولة دينية، واليوم قد ارتضى هذا الحزب أن يتسلم بالفعل السلطة في العراق ورئيس وزراء العراق الحالي هو نوري المالكي أحد قادة حزب «الدعوة» في العراق، وحكومته جاءت تحت وصاية الدبابات الأميركية وتحظى برعاية بريطانية وموافقة ودعم إيراني وصمت مطبق نحو المالكي وحزبه من قبل «حزب الله» اللبناني الذي يحارب الشيطان الأكبر وحلفائه في لبنان وسورية والكويت والبحرين وغزة، إلا في العراق.

وإذا كانت حركات التحرر في سورية حركات إرهابية وهي لا تملك ميليشيا مسلحة، إرهابية أو أنها تشجع التطرف، فما هو تقييم وتوصيف حركة بدر الشيعية المسلحة، وجيش المهدي وعصائب أهل الحق و«حزب الله» في العراق،؟ أليست كلها حركات مسلحة وذات طابع ديني ومذهبي،؟ وكيف اتفق أنها لا تشكل خطر على الأقليات الدينية في العراق ودول الجوار بينما حركات الانتفاضة السورية وضعها مختلف،؟ أليس «حزب الله» في لبنان هو حزب ديني ويمثل قوة ضاربة لأقلية دينية في لبنان والمنطقة وسبق له أن نفذ عمليات على أراضي الدول العربية وفي الكويت تحديداً خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي (مصطفى بدرالدين)واستعمل السلاح في الداخل لحماية السلاح، وهو يعلن صراحةً تأييده لنظام سورية ومظاهرات البحرين والحوثيين في اليمن ويؤيد سياسات إيران في المنطقة مهما كانت تداعياتها،؟ ولو كان الشعار العلني المرفوع وهو المقاومة فقط لما كان هناك من ضرورة ليتورط هذا الحزب أو غيره في مواقف من هذا النوع، إذ إن مشروع المقاومة لا يتطلب تأييد الحوثيين في اليمن أو معارضتهم وكذلك البحرين ونظام سورية، اللهم إلا إذا كان هناك تقاطع ديني ومذهبي وسياسي بين هذه الحركات وأهداف التحركات، والموقف الإيراني من سورية والذي اتخذ بعداً دينياً ألا يعتبر إشارة خاطئة للشعب السوري والدول المحيطة، حيث(أكد المرجع الإيراني ناصر مكارم شيرازي ضرورة مساعدة سورية لدعم الاستقرار في البلاد من أجل إفشال ما أسماه «المخططات الإجرامية»)في فتوى تؤكد أن دعم سورية واجب ديني.

فمن هو إذاً من يعطي الشعور والانطباع بأن ما يجري في المنطقة من انتفاضات ضد الظلم والقهر والديكتاتوريات والأحزاب الشمولية، هي حركة دينية طائفية ومذهبية تستهدف طائفة أو دينا أو عرقا، من هو اللبناني أو العربي الذي لا يعرف ظلم النظام السوري وجبروته وديكتاتوريته؟ اللبناني والفلسطيني هو أكثر من يدرك عظيم معاناة الشعب السوري، ملف المفقودين اللبنانيين والفلسطينيين في السجون السورية، خير دليل على الظلم الذي عاشه الشعبان نتيجة سياسات هذا النظام.

ألا يؤدي تهديم المساجد في سورية إلى تأجيج الصراع الديني؟ ألا يؤجج اتهام المتظاهرين في سورية بالعمالة والتآمر وهم المطالبون بحريتهم في دولة ذات سيادة من قبل وسائل إعلامية محسوبة على إيران بتصعيد التوتر وتأجيج الصراع،؟ ألا يعتبر اتهام الشعب السوري بالانخراط في مؤامرة على فلسطين ووحدة الأمة العربية محاولة لتسخيف تضحياته واستهتاراً بشهدائه سواء على جبهات الصراع في الجولان أو في الداخل في مواجهة آلة القتل الرسمية؟ ألا يظن من يروج الإشاعات والفبركات الإعلامية عن تدخل خارجي ومؤامرة خارجية على نظام سورية استهزاء بمطالب الشعب السوري وتطلعاته المشروعة، ألا يعتبر أن الحديث عن وجود سلاح غير شرعي في سورية من قبل إعلام «حزب الله» وحركة أمل

قمة السخافة وهم من يملك ترسانة من الأسلحة غير الشرعية، ألم نأخذ العبرة بعد من أن حكم الأقليات لا يمكن أن يشكل ضمانة، وأن سيادة الدولة والقانون والعدالة الاجتماعية والتعددية هي وحدها الضمانة للجميع.

لذلك لا بد من القول: أن طغيان الأقلية ومفهوم الأقلية وحماية الأقليات وتحالف الأقليات، لا يمكن أن تؤدي كلها إلى الاستقرار ولو امتلكت الأقلية السلطة كما في سورية والسلاح كما في لبنان، لأن ما شاهدناه وعشناه هو طغيان هذه الأقلية على الأكثرية بحجة حماية وجودها واستقرارها وضمان بقائها، وهذا غير صحيح البتة، فالخوف لا يعالج بالظلم، والاستقرار لا يتوفر بالدولة الأمنية ولا بالسلاح، وإذا كانت الأقليات خائفة على مصيرها فهو بسبب ممارسات بعض قادتها الذين يضعونها في مواجهة الأكثرية لحماية مكتسباتهم ونفوذهم، ولأن الضغط يولد الانفجار وبما أن الحماية لم تتوفر للأكثرية من طغيان وفساد الأقلية، ولأن البعض يروج لتحالف الأقليات ويعبر عن الخوف من الأكثرية مطالباً بسيطرة واستمرار حكم الأقلية رغم بطشها وفسادها، فإن من الممكن أن يتحول البعض فعلاً إلى التطرف نتيجة هذه التصريحات والمواقف والممارسات، وحينها من يحمينا من بعضنا البعض، ومن يكون سبباً في تأمين المناخات والظروف المناسبة للتدخل الدولي؟

أين هو شبلي العيسمي؟

صالح حديفة(*) – صدى البلد ٢٠١١/٩/٢

في المعلومات الشخصية، ولد شبلي العيسمي العام ١٩٢٥م في محافظة السويداء في سوريا، لأسرة بذلت لتعليمه الغالي ممّا لديها، فتدرّج في حقول العلم والعمل حتى بات عضواً من مؤسّسي حزب البعث العربي.

صحيحٌ أن شبلي العيسمي لم يمارس أي نشاط سياسي على الأقلّ منذ العام ١٩٩٢، حين تخلّى عن منصب الأمين العام المساعد في حزب البعث، بعدما شغله من العام ١٩٦٦، إلا أنه وفي معراج عمله الحزبي والسياسي في سوريا ولاحقاً في العراق، تقلب في مناصب عدة رفيعة، فهو بدأ العمل الحزبي في العام ١٩٤٣، ناسجاً علاقات وصداقات مع حزبيين وسياسيين، وشغل عضوية القيادة القطرية لحزب البعث من العام ١٩٤٣ إلى العام ١٩٥٦، حين صار نائبًا للأمين العام ميشال عفلق، وتولّى ثلاث وزارات من العام ١٩٦٣ إلى العام ١٩٦٦.

حين كان الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد وزيراً للدفاع، شغل العيسمي منصب نائب رئيس الجمهورية في سوريا حتى العام ١٩٦٦. وفي النصف الثاني من ذلك العام، ترك الأراضي السورية وانتقل إلى العراق حيث تسلّم مسؤوليته في حزب البعث العراقي وظل مقيماً هناك إلى ما بعد سقوط نظام الرئيس الراحل صدام حسين في العام ٢٠٠٣.

في دائرة الظل

صحيحٌ أيضاً أن العيسمي بات في دائرة الظل منذ منتصف التسعينات لابتعاده عن واجهة العمل السياسي والحزبي قبل اعتزاله ذلك نهائياً في العام ٢٠٠٣، حيث كانت المرة الوحيدة التي خرج فيها إلى الضوء منذ ذلك التاريخ في العام ٢٠٠٥ يوم أطل بشهادة تلفزيونية عبر قناة «العربية» عن «فكر حزب البعث»، إلا أن البعثيين وكثيرين من العرب المتابعين لقضايا القومية والوحدة العربية قرأوا له أكثر من ١٧ كتاباً بين دراسة وتحليل أهمها عن «عروبة الإسلام وعالميّته» و«الوحدة العربية»، خصوصاً وأنّه كان واحداً من مهندسي الوحدة بين مصر وسوريا، وأجرى لقاءات طويلة مع الرئيس المصري الراحل جمال عبد

(*) كاتب مصري.

الناصر، وقد طُبعت بعض مؤلفاته مراراً وتُرجمت إلى الفرنسية والإنكليزية والإسبانية.

٣ أشهر مضت

مناسبة الحديث عن العيسمي، تعود إلى أن الرجل قد خُطف منذ أكثر من ثلاثة أشهر من مدينة عاليه حيث كان يمارس هوايته في رياضة المشي قرب منزل ابنته المتزوجة من لبناني والمقيمة في المدينة.

منذ تلك اللحظة استعاد اللبنانيون من عارفي العيسمي ذكريات كثيرة عن الرجل فيما بات الآخرون ممّن لم يعرفوا عنه الكثير مهتمين بتقصي سبب إخفاء الرجل التسعيني العمر. وممّا لا شك فيه أن غالبية اللبنانيين والعرب ربطوا بين اختطاف العيسمي وبين ما يجري في سوريا من أحداث وتظاهرات منذ قرابة الأشهر الستة. وقد ذهبت روايات عديدة بعيداً في سرد تفاصيل الخطف رغم أنّ أحداً لم يرَ ماذا حصل مع شبلي العيسمي في ذاك النهار.

وبحسب ما تناقله بعض المتابعين للحادثة، فإن أحد أبناء العيسمي، وهو مقيم في الولايات المتحدة الأميركية، تحرّك مؤخراً تأييداً للثورة الشعبية في سوريا وانخرط في عملية هدفها «مقاضاة» النظام السوري على «جرائم القمع»، فعمدت السلطات السورية إلى إرسال سفير دمشق في بيروت علي عبد الكريم علي إلى العيسمي في عاليه طالباً منه إصدار بيان يدعم فيه النظام السوري ويدين فيه «التخريبيين» الذين يتحركون في «الداخل والخارج».

إلا أن العيسمي رفض ذلك، قائلاً إنه توقف منذ سنوات طويلة عن العمل السياسي، وبالتالي فإن إصدار بيانات مماثلة لا يتناسب مع سلوكياته في الإبتعاد عن الملفات السياسية. وتضيف هذه الرواية أنه بعد أيام على هذا الرفض اختفى شبلي العيسمي.

رواية أخرى تناقلتها جهات في سوريا ولبنان تفيد أن فئة محددة تعمل لمصلحة المتظاهرين في سوريا وبالتعاون مع فصيل من قوى ١٤ آذار في لبنان نفّذوا عملية الخطف، بهدف استثارة المشاعر الدرزية وتأليبهم لبنانياً وسورياً ضد النظام السوري والتأثير على مواقف الزعيم وليد جنبلاط مما يجري بسوريا، وهو الذي يحترم العيسمي شخصياً ويُكنّ له تقديراً مميزاً.

ماذا عن الدولة؟

وبعيداً عن الدخول في نقاش أي من الروايتين أعلاه أكثر قابلية للتصديق وأقربها للواقع، فإن لبنان لم يُظهر أي تحرك حقيقي جدّي لمتابعة الملف والتحري عن الخاطفين، ثم سرَت في أوساط أمنية وأخرى إعلامية معلومات تعزز الرواية الأولى، دون أن يتم تأكيدها من أي جهة معنية، تفيد أن سيارات داكنة الزجاج أقدمت على نقل العيسمي نحو الطريق المؤدية إلى الحدود اللبنانية - السورية واختفت هناك وأن العيسمي أصبح في دمشق فعلاً. لكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تبلّغ عائلة العيسمي بالأمر ممّن يدّعون اطلاعهم على ذلك؟ وأين هي الدولة اللبنانية من كل من حصل؟

بالأمس جمعت دار الطائفة الدرزية في بيروت حشداً غفيراً من أبناء طائفة الموحدين ومن محبّي العيسمي وأصدقائه ورفاقه، طالبوا الدولة وأجهزتها بالقيام بمسؤولياتها في سبيل الكشف عن مصيره، وأدانوا بشدة عملية الخطف المرفوضة في بلد يدّعي الحرص على الحريات، فهل ثمّة من لا يزال يسمع؟